حجر الزاوية

مجلة تعنى بالمواقع الأثرية

العدد الرابع • كانون الأول 2019

الكلية الأكاديمية تل-حاي
Tel-Hai College

المجلس لحفظ المواقع التراثية
The Council for Conservation of Heritage Sites

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

الكلية الأكاديمية تل-حاي
Tel-Hai College
المجلس لحفظ المواقع التراثية
The Council for Conservation of Heritage Sites
سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

حجر الزاوية

العدد الرابع

كانون الأول 2019

حجر الزاوية
مجلة تعنى بالمواقع الأثرية

محرر علمي: د. وليد أطرش

محرر اللغة العربية: ريما داهود

محررة اللغة الإنجليزية: د. راحيل كوديش-وشدي

مركزة الجهاز: هناء عبود

الجهاز الإداري: د. حمودي خلايلة
د. كميل ساري
رافع أبو ريا
عنان عزب
أمير مزاريب
عيديت ميدان

صورة الغلاف الأمامي: صورة جوية للموقع الأثري بيت جبرين (تصوير: أ. غريتسر)

صورة الغلاف الخلفي: الدير في حورا، النقش اليوناني في فسيفساء غرفة الطعام (تصوير: أساف بيرتس)

طباعة وتدقيق: رنين فران

تصميم الطباعة: د. وليد أطرش

طباعة: أبو رحمون عكا
© حقوق الطبع محفوظة لسلطة الآثار
ص.ب 586، القدس 91004
ISSN 2790-7155

www.antiquities.org.il
hanaa@israntique.org.il

الفهرس

القرى التاريخية المحيطة بالقدس – دراسات ومسح ميداني 6

آفي مشيح – سلطة الآثار

ترجمة د. وليد أطرش

مستوطنة صغيرة شمال بئر السبع من أواخر العهد العثماني 10

د. دافيدا أيزنبرغ-ديجين وأفيشاي ليفي حيفروني - سلطة الآثار

ثقافة أسبلة الماء وانعكاسها على العامة في مدينة عسقلان 16

د. آفي ساسون - كلية عسقلان الأكاديمية

ترجمة د. وليد أطرش

قلعة بيت جبرين: تجديد التحصينات في الفترة الصليبية 20

ميخائيل كوهين – سلطة الآثار

منطقة مشققة: دراسة ميدانية للحروب وحصار منطقة تل عسقلان في الفترة الصليبية 25

رفائيل ي. لويس - كلية أشكلون الأكاديمية وجامعة حيفا

تغلغل الإسلام في المناطق النائية للأرضي المقدسة - منظر أثري من النقب 31

بروفيسور جدعون أفني - سلطة الآثار

خربة ام طوبا في اعقاب البحث الاثري (المسوح والحفريات) 41

زبير عدوي – سلطة الآثار

الدير في خربة حور (حورة) 46

د. دانييل فارغا، عنات راسيوك ومارتن باسترناك - سلطة الآثار

التعرف على مجتمع ديونيسيوس في مقبرة عسقلان الشرقية 53

دافيدا أيزنبرغ ديجين وإيلان بيرتس - سلطة الآثار

مواقع وتحف مختارة من العصور الهلنستية والرومانية في مدينة عسقلان الحديثة 59

ايلان بيرتس - سلطة الآثار

ترجمة د. وليد أطرش

تل السبع العصر النحاسي (الخاكوليثي): تحت الأرض وفوق الأرض في الثقافة الغسولية 63

مارتن ديفيد باسترناك - سلطة الآثار

«كنت سعيدًا هنا قبل ولادتي»: تقلبات عن أنواع الثدييات في البلاد مدى 10.000 سنة الماضية 68

د. غاي بار- عوز ود. ليؤر فايسبورد - معهد زيسمان للآثار، جامعة حيفا

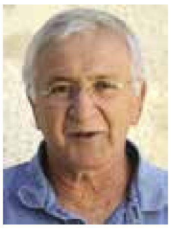

كلمة مدير عام سلطة الآثار

السلام عليكم،

التحية القلبية لجمهور القراء والشكر الجزيل للروّاد، محرّري هذه المجلة، تفتخر سلطة الآثار الإسرائيلية المؤسسة المهنية الرائدة والمسئولة عن الآثار والمواقع الأثرية والحفاظ عليها بنشر قصة هذه الأرض في جميع طبقاتها التاريخية، بالتعاون مع الجمهور.

إننا نرى مهمّتنا كقائمين ومحافظين على الكنوز التابعة للمواطنين، ولأولئك الذين يحبّون الثقافة والعلوم في العالم، ما يجعلنا فخورين بمشاركة الجمهور الناطق بالعربية بهذه المجلة العلمية، وأملي أن نحظى بنشر أعداد كثيرة بعدها.

يسرّني استخدام هذه المنصة لدعوة أي شخص يرغب في المشاركة معنا بتجربة الحفر والكشف عن آثار بلادنا ليتّصل بنا، ونحن سنكون سعداء بالمشاركة.

نراكم في مواقع الكشف الأثري وعلى صفحات هذه المجلة.

شكرًا للمحررين ولكتاب هذا العدد، وشكرًا لمجلس حفظ مواقع التراث وكلية تل - حاي الشركاء الصادقين لهذا المشروع.

مدير عام سلطة الآثار

يسرائيل حسون

تحية المجلس لحفظ مواقع التراث في إسرائيل

إلى القراء الكرام،

نتقدم بالتهنئة والتقدير لكافة العاملين في مجال إصدار مجلة "حجر الزاوية"، التي تعنى بثقافة الحفاظ على المباني وبناء البيئة في حياتنا، وتؤثر على القرارات المتعلقة بالتطوير وبلورة المشهد.

إن أهمية هذه المجلة، التي تصدر باللغة العربية، تكمن بأنها تقدّم لمجتمعات عديدة ومتنوعة، عالم الحفاظ على المباني التاريخية، وتطرح مزيدًا من المواضيع المتعلقة بالحفاظ على جدول أعمالنا.

شكرًا لجميع القائمين على المجلة، وفي مقدمّتهم الدكتور كميل ساري، المسؤول عن الآثار في المنطقة الشمالية في سلطة الآثار، وسامر فلاح الهيب مدير لواء الأقليات في مجلس حفظ المواقع التراثية في إسرائيل.

مع تحيات

عمري شلمون

مدير عام

كلمة عميد شؤون الطلبة - قسم دراسات الجليل كلية تل-حاي

الأخوات والإخوة

تحية طيبة،

يسرنا في كلية تل-حاي البدء بالتعاون مع سلطة الآثار في إصدار مجلة حجر الزاوية. إن إصدار هذه المجلة المميزة التي تحتوي على أبحاث، وملخص أبحاث وتقارير عن حفريات أجرتها دائرة الآثار باللغة العربية إنما جاء ليسد فراغاً كبيراً، وكذلك ليرفد المكتبة وجمهور الطلاب والأساتذة بكل ما هو جديد في مجال البحث التراثي، التاريخي والأثري.

إن مشاركة كلية تل-حاي وكادر باحثيها المميزين في إصدار المجلة، إنما تندرج ضمن سياسة الكلية في دعم التعاون مع المؤسسات الحكومية والعلمية، ومع مراكز الأبحاث المختلفة بما فيها سلطة الآثار.

وكذلك انطلاقا من رؤيتنا ودعمنا للتعددية الثقافية ورغبتنا بالتواصل مع الجمهور العربي في البلاد وفي الخارج. خاصةً وأننا كنا رواداً في دراسة المناطق الشمالية من البلاد من خلال الأقسام المختلفة وخاصةً قسم الماجستير لدراسات الجليل.

ومن الجدير بالذكر، وبعد صدور بضعة أعداد من المجلة، لاحظنا أنها لاقت استحساناً وقبولا كبيرا لدى كل المحبين للتراث، التاريخ والآثار، وكل المعنيين بحفظ المواقع الأثرية والتاريخية في البلاد. وعليه يسعدنا الانطلاق معا نحو آفاق جديده فيها الكثير من التميز والخير. نتمنى للقراء الأعزاء كل الخير ويسعدنا تقديم ما هو أفضل على الدوام.

باحترام

بروفيسور مصطفى عباسي

القرى التاريخية المحيطة بالقدس – دراسات ومسح ميداني

آفي مشيح – سلطة الآثار

ترجمة د. وليد أطرش

مشهد القرية العربية التقليدية الذي كان شائعا حتى منتصف القرن العشرين، باتَ مهددًا بالاختفاء كليا من بلادنا. هذه القرى التي تميزت بتخطيطها المحلي الذي يعكس طبيعة البلاد والمجتمع التقليدي العريق، تحمل قيمًا ثقافية، جمالية وجغرافية فريدة. إن التغيرات الحضارية في المجتمع العربي اليوم ونهضة البناء الحديثة في القرى وضواحيها تهدد استمرار وجودها.

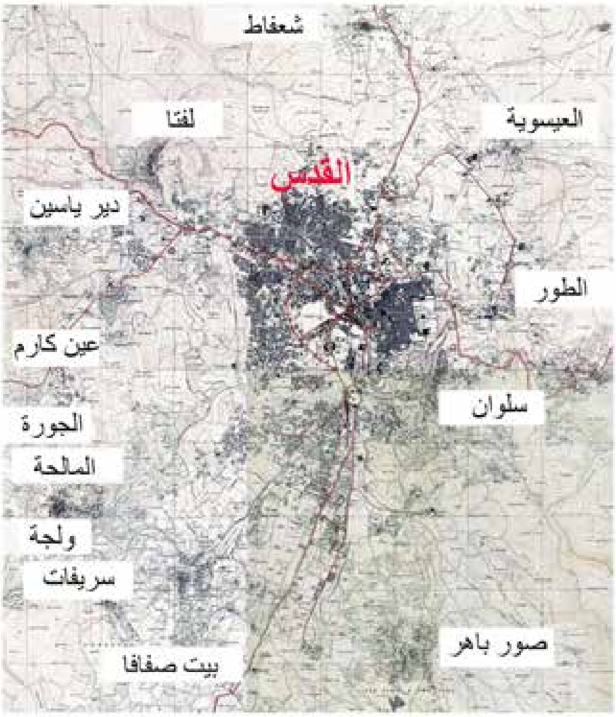

الشكل 1. القدس والقرى المحيطة بها

تحيط بمدينة القدس حلقة من القرى (الشكل 1) التي كانت على مرّ التاريخ ظهيرها الزراعي. وقد تم تدمير بعضها خلال الحرب عام 1967، وتم الحفاظ على سلسلة منها وبالتحديد القرى الواقعة شرقي القدس. شهدت هذه القرى تطوراً حضارياً ومدنيا متسارعا ويعود ذلك لعدة أسباب، أهمها، هجرة العديد مِن اللاجئين الفلسطينيين إليها بعد احتلال أجزاء من مدينة القدس. تم ضم القرى الواقعة غربي القدس إلى أحيائها، خسرت طابعها القروي واندمجت مع النسيج المدني.

تخضع القرى المحيطة بالقدس وكذلك القرى المهجرة حاليًا للتخطيط والتنمية المتسارعين مما سيحدد مستوى التدخل بها وطبيعة استخدامها، وذلك بسبب المصاعب الديموغرافية، التي غالباً ما تنطوي على عوامل سياسية ووطنية. وفي كثيرٍ من الحالات لا يتم التخطيط وفقًا لمعايير الحفظ المقبولة، أي مسح أولي يتضمن فهم وتحليل خصائص الموقع وتحديد أهميته الثقافية، وفهم إمكانات الحفظ وصياغة المبادئ اللازمة لاستعادة الأنسجة التقليدية الباقية.

تعتبر قرية لفتا المهجرة، الواقعة على منحدر حاد بمحاذاة المدخل الغربي لمدينة القدس وبجوار حي روميما، مثالا لهذه القرى (الشكل 2). بنيت القرية بدايةً حول بناء صليبي ضخم من القرن السادس عشر

الشكل 2. قرية لفتا المهجرة

للميلاد وبجوار عين مياه، وتوسعت في أوائل القرن العشرين باتجاه مدينة القدس. في عام 2005، تمت الموافقة على خارطة لتطوير قرية لفتا، والتي تهدف إلى بناء 268 وحدة سكنية ومحلات تجارية، وفنادق وشوارع حديثة للوصول اليها. لم يستند تخطيط تطوير لفتا إلى دراسة ومسح شامل والاخذ بعين الاعتبار خصائصها التاريخية، ولم يؤخذ بالحسبان أن المباني الحديثة قد تحجب واجهات المباني الأصلية مما يضر بشكل لا رجعة فيه بسلامتها وبنسيجها الشفاف.

تميزت قرية لفتا بموقعها الجغرافي الجبلي، الأمر الذي يؤدي الى صعوبة الوصول اليها، والذي ساعد في الحفاظ على طابعها الأصلي حتى اليوم، على الرغم من الدمار الكبير الذي لحق في بيوتها. لقد تمكنا من خلال دراسة بقايا من بيوتها تحديد مراحل تطورها، ورسم أحيائها، شوارعها، ازقتها ومبانيها الخاصة والعامة ذات القيمة الثقافية، الاجتماعية، التاريخية والمعمارية. إن المستوى العالي التي حفظت فيه مباني لفتا تُمكننا بوضوح من تحديد مكوناتها التقليدية، كذلك تحديد مراحل تطورها الأساسية الخمس والتي شكلت نموذجًا لجميع القرى المحيطة بالقدس:

أقيمت القرية العربية في كثير من الحالات على أنقاض أبنية من العصور الوسطى أو على مبانٍ اقدم من ذلك أيضًا، كان اوج انتشارها في بداية الفترة العثمانية.

تمحور بناء القرية حول بناء قديم، وبجواره بيوت صغيرة تحيط بفناء

الشكل 3. شعفاط، بيت قديم في نواة القرية

مشترك للعديد من الأسر. يمكننا القول أنَّ تخطيط بناء البيوت بهذا النمط يعكس المنظومة الاجتماعية والمهنية للقرية التقليدية بشكل جيد.

خلال القرن التاسع عشر للميلاد ازداد النمو السكاني، وأقيمت أحياء جديدة حول مركز القرية، تكونت هذه الأحياء من بيوت كبيرة مكونة من طابقين.

في بداية القرن العشرين ومع ارتفاع مستوى الأمن في المنطقة، انتشرت لأول مرة بيوت القرية على طول شوارعها الرئيسة.

توسعت القرية واحتلت المناطق الزراعية الخصبة المجاورة لها.

من حيث المكونات التقليدية الموجودة حاليًا في لفتا يتضح لنا أن النواة القديمة وحلقة من البيوت المحيطة بها من الشمال والشرق تم الحفاظ عليها بالكامل تقريبًا. كذلك تم الحفاظ على البيوت المبنية على طول الطريق الجنوبية الموصولة للقرية فقط. من ناحية أخرى، تم تدمير جزء أساسي من النواة إلى حد كبير وهي في حالة تدهور صعبة، مما يجعل الأمر صعباً في استعادة بنائها في المستقبل.

وفقًا لهذا التحليل، يمكننا الآن وضع رسم افتراضي لحالة حفظ القرية اليوم على أنه «تفاحة داخلها دودة»: هذا يعني أن حلقة البيوت المحيطة بالنواة تصنع غلافاً ضخمًا ومحميًا، وهو يحيط بنواة مدمرة إلى حد كبير تضم في جوهرها مبان قديمة مبنية من الحجارة الضخمة.

بناءً على هذا التحليل، تمّ مسح القرى الإضافية، واعتمدت عملية المسح بدايةً على الكثير من المصادر منها: مصادر تاريخية، خرائط، كتب رحالة، مصادر علمية، صور جوية ومواقع انترنيت فلسطينية وإسرائيلية. في كل قرية من القرى، تم إجراء مسح ميداني من خلاله تم توثيق الوضع الراهن للمباني وحالة صيانتها، كذلك تم تلخيص البيانات التي جُمعت لكل قرية في مخططين: الأول: تمحور حول مراحل تطور القرية حتى يومنا هذا، والثاني: تمحور حول حالة حفظ نواة القرية وتأثير التدخل الحديث بشكل مفصل.

إذا نظرنا الى القرى شعفاط وبيت صفافا، نرى أنه تم الحفاظ على نواة القرى جنبًا إلى جنب مع الأحياء الحديثة. هذا الوضع أدى الى تطوير البيوت في المنطقة القديمة التاريخية، قلل من التدخل الحديث فيها وساعد في الحفاظ عليها.

في قرية شعفاط (الشكل 3)، تم الحفاظ على جميع البيوت في النواة تقريبًا، بينما في بيت صفافا هدمت معظم البيوت القديمة وتم الحفاظ على بعضها (الشكل 4).

استغلت بعض البنايات القديمة في بيت صفافا كأساس لبناء طابق سكني حديث فوقها (الاشكال 5-6). في كلتا الحالتين، تم الحفاظ على

الشكل 4. بيت صفافا، نواة القرية القديم

الشكل 5. بيت صفافا، بناء حديث فوق البيت الحجري القديم

الشكل 6. بيت صفافا، بناء حديث فوق البيت الحجري القديم

الشكل 9. المالحة، شوارع اغلقت واستخدمت موقف للسيارات

البيوت في الحلقة المحيطة بالنواة وعلى مر السنين شكلت حاجزًا عازلًا يحافظ على النواة القديمة. ان البناء الحديث على جوانب الشوارع ساعد في الحفاظ على الطرق القديمة وكذلك على التقسيم التقليدي. نرى الصورة في شعفاط مماثلة لوضع قرية لفتا، هناك غلاف تقليدي حول النواة القديمة.

أما بالنسبة لنواة القريتين المالحة وصور باهر فقد دمجت بالأحياء الحديثة المحيطة بهم. في قرية المالحة، التي تم تحويلها إلى حي يهودي، تم الحفاظ على غلاف النواة القديمة. هدمت البيوت المهدد بالانهيار في النواة، كذلك رمم بعضها وإعيد بناء بعضها من جديد. يلاحظ أيضا أن هناك العديد من المباني العامة القديمة مثل الجامع ومعصرة الزيت تم استعملت لأغراض سكنية (الاشكال 7-8).

جدير بالذكر ان تغيرا أساسيا حدث للشوارع القديمة، بعضها استخدم كموفق للسيارات وبعضها الاخر اغلق نتيجة البناء الحديث (الاشكال 9-10).

أما قرية صور باهر فقد كانت مكونة من ثلاث احياء قديمة منفصلة، تطورت القرية مع الزمن إلى حي كبير. أما اليوم فقد تم هدم البيوت في غلاف القرية لصالح شق طرق وبناء مبانٍ تجارية جديدة. لا تزال البيوت في نواة القرية مكشوفة غير محمية وعلى مقربة من الطرق ومناطق التطوير الضخمة التي تتعدى عليها بشكل مطرد.

فيما يتعلق بقرية العيسوية، يبدو الوضع ميئوسًا منه تقريبًا، بسبب

الشكل 7. المالحة، استعمال ساحة الجامع لأغراض سكنية

الشكل 8. المالحة، استعمال معصرة الزيت لأغراض سكنية

الشكل 10. المالحة، شوارع اغلقت نتيجة للبناء الحديث

ضغوطات التطوير الثقيلة، حيث تم هدم نواة القرية بالكامل تقريبًا لصالح بناء الشقق العالية والمزدحمة (الشكل 11).

لقد حددنا ثمانية منازل حجرية تابعة لنواة القرية التقليدية المنتشرة الآن بين المنازل الحديثة. خلال فترة المسح، تم هدم أفضل المباني الحجرية للقرية لصالح مبنى سكني آخر ، وفقدت معها أيضًا فرصة ضئيلة للحفاظ على بعض الميزات التقليدية للقرية.

باختصار، نظرًا لضغوط التطوير، تصاب نواة القرى ونسيجهم الحضاري والهندسي بأضرار وخيمة وبشكل متسارع. يجري اليوم الموافقة على خطط التطوير في معظم هذه القرى. الخطوة الأولية والحيوية في التخطيط برأي، يجب اعداد دراسة تتمثل في تحديد مراحل تطور القرية، ووفقًا لذلك، تحديد مبادئ الحفاظ وتسليط الضوء على مكوناتها.

يمكن القول أن بيوت الغلاف في جميع القرى تقريبًا تلعب دورًا مهمًا في الحفاظ على مكوناتها التقليدية، وتحدد حدود معالمها التاريخية. في بعض الأحيان، كما هو الحال في قرية المالحة، أصبح هذا الحزام عبارة عن غلاف فارغ من البيوت القديمة واحتل مكانها البناء الحديث.

تم الحفاظ على النواة القديمة بمستوى معقول يسمح بإعادة تأهيلها في القرى العربية التي بقيت قائمة وتوسعت حول الأحياء القديمة. تم بناء هذه النواة القديمة في بناء ضخم وعالي الجودة، ومساحاتها واسعة وعالية، وبالتالي هناك إمكانات كبيرة لأستخدامها لأغراض عامة متعددة. في أي عملية ترميم مستقبلية، يجب التعامل مع البيوت في النواة كأساس لاستعادة الطابع التقليدي المركب من حوله.

تعتبر بيوت النواة للقرية مهمة جداً، ولكن نظرًا لضعف جودة البناء، فإن مستوى الحفاظ عليها يمثل مشكلة، وبالتالي فإنه يتم هدمها في معظم الحالات. في المالحة، اكتملت عملية الهدم وتم استبدال البيوت القديمة بهياكل أخرى جديدة.

تتم المحافظة على البيوت الواقعة على اطراف الطرق في معظم الحالات

الشكل 11. العيسوية، مركز قرية على مر السنوات

وكذلك على الطريق نفسه. في بعض الحالات تكون هذه البيوت غير واضحة وذلك بسبب كثافة المباني الحديثة والإضافات الجديدة للبيوت. في القرى التي تم فيها فصل الطرق الرئيسية الحديثة عن الطرق القديمة، تم الحفاظ على الطراز التقليدي للأزقة والساحات، وهذا يساهم في الحفاظ على روح المكان.

في النهاية، يجب الحفاظ على النسيج التاريخية والتقليدي القروي والحفاظ على قيمته الثقافية الكبيرة. لذلك من المهم محاولة العثور على توازن مدروس في جميع حالات التطوير المعاصر. يجب المحافظة على بقايا تلك القرى وفقاً لحالتها الراهنة ومواكبة الحفاظ عليها وإدماجها في التخطيط المستقبلي.

مستوطنة صغيرة شمال بئر السبع من أواخر العهد العثماني

د. دافيدا أيزنبرغ-ديجين وأفيشاي ليفي حيفروني - سلطة الآثار

الشكل 1. بئر السبع، تصوير جوي حدد عليه موقع الحفريات الأثرية.

مقدمة: السنوات الأولى لبئر السبع الحديثة

كان في بئر السبع عدد قليل من المباني والمحلات التجارية في أوائل القرن العشرين، وتطورت تحت سلطة الحاكم العثماني علي أكرم بك. كان في وسط المدينة حديقة كبيرة، وشبكة من الطرق المعبّدة الواسعة، وفي عام 1907 تم الانتهاء من بناء الجامع الكبير والسرايا. ضُخت مياه الشرب بواسطة مولد كهربائي إلى عدد من المنازل، وكان في معظمها حدائق ونوافير.

إزداد عدد سكان بئر السبع عشية الحرب العالمية الأولى (عام 1911) وبلغ نحو 3000 نسمة، وازداد أيضًا عدد الجنود العثمانيين داخلها وحولها ووصل نحو 5000 جندي، إضافةً الى العديد من العمال القسريين. كان للوجود العسكري في منطقة بئر السبع دور في تطويرها، وزودوا المباني الرئيسية بالكهرباء، حيث ساهموا بإقامة مطحنة دقيق، مصنع لإنتاج الثلج، دار للطباعة والنشر، حمّام عام، مستودعات ومستشفى. تم بناء مهبط للطائرات، كذلك مدّ خط سكّة حديد الحجاز، وأتاحا ربط بئر السبع بشمال البلاد وجنوبها. توافد الكثيرون إلى بئر السبع بهدف البحث عن فرص عمل وجاء معظم الوافدين من غزة مع عدد قليل من العائلات العربية المسيحية من الخليل. ويذكر أن بعض البدو اشتروا الأراضي في بئر السبع بأسعار مخفضة، وشيّدوا أبنية سكنية داخلها، وأقام آخرون الخِيام في المنطقة المجاورة.

في السنوات الأخيرة، جرت ثلاث حفريات أثرية في المنطقة الواقعة على بعد حوالي 5 كم شمال بئر السبع (الشكل 1)، كشفت عن بقايا مستوطنة صغيرة تعود إلى أواخر العهد العثماني وبداية فترة الانتداب المبكرة (الأشكال 2-3). تقع المستوطنة داخل حوض ضيق أقيمت فيه وحدات سكنية مبنية باتجاه الغرب، ومنشآت من الشرق. استخدم حجر الجيري وطوب الصلصال لبناء الجدران.

على طول الجزء الغربي من الحوض تم الكشف عن بقايا ثلاث وحدات سكنية (A-C)، وفي الجزء الشرقي وحدة سكنية (D)، محجرًا، مغارة وصهريج. أقيمت وحدات سكنية (A-C) ضمن تخطيط على شكل مستطيل ذات محور شمالي/جنوبي. الوحدة السكنية (A) مكونة من غرفتان (1-2) وفناءين كبيران، اما الوحدة السكنية (B) مكونة من خمسة غرف (3-7) وفناء كبير، والوحدة السكنية (C) مكونة من ثلاثة غرف (8-10) وفناء (رقم 11)، وإلى جانبهم بنيت بعض المنشآت (الشكل 3). كانت أرضية وجدران الوحدات السكنية مغطاة بالجص، عليها أثار طفيفة من اللون الأخضر والأحمر، وحفظت جزئيًا في الغرفة (رقم 6، الشكل 4). عثر في الغرفة رقم 6 على قطعة نقدية فلسطينية من فئة الـ5- ملات، تعود إلى العام 1933، كما عثر في الغرفة رقم 11، على عملة

الشكل 2. بئر السبع، تصوير جوي، بقايا مستوطنة من أواخر العهد العثماني - فترة الانتداب المبكرة.

فلسطينية معدنية أخرى من فئة ال2- ملات تعود للعام 1942.
الوحدة السكنية (D)، مؤلفة من غرفة واحدة منفردة (رقم 12) بالقرب من المغارة، وكان مدخلها من الجهة الغربية (الشكل 5)، وعثر بداخلها على عملة برونزية وفضية من الحقبة العثمانية (القرن التاسع عشر).
تم الكشف عن مبنى آخر (رقم 3)، يبعد حوالي 90 مترا جنوب غرب المستوطنة. مبنى (رقم 3) مستطيل الشكل، جدرانه مبنية من الحجر الجيري (الشكل 6). من الواضح أن هذا المبنى كان ذات صلة بالمستوطنة، وربما كان محطة لاستقبال المسافرين الذين توافدوا على طول الطريق القريب من المستوطنة.
اكتشف في المستوطنة موجودات مثل: البلاط، شظايا الزجاج، مجموعة صغيرة من العظام، مجموعة كبيرة من قذائف الذخيرة، التي تعود إلى الحرب العالمية الأولى، أجزاء من طواحين الحجر وبعض المواد المعدنية، بما في ذلك محراث وأدوات زراعية وقضبان معدنية عديدة.

قطع نقدية من القرن التاسع عشر ومنتصف قرن العشرين. تشكل الجرار الغزاوية والأباريق الجزء الأكبر من مجموعة الفخار (الشكل 7)، ومن المثير للاهتمام عدم العثور على غلايين التدخين العثمانية.
تم الكشف عن أنقاض ومصاطب من جميع الوحدات السكنية في المستوطنة، فيها تم العثور على العديد من قطع من الآجر المصنوعة من الأسبستوس المُسَطَّح ذات زوايا مهذّبة وثقوب على طول الجدران والزوايا. يشار إلى أنه تم العثور على الآجر جنبًا إلى جنب القرميد من مرسيليا في العديد من المواقع. وبما أن الغرفة رقم 6 ألبست بالطين، وأن الموقع كان يحتوي على ألواح مسطحة من الأسبستوس وقرميد مصنوع بمرسيليا، هذا يشير إلى أنه استعملت كصفائح للسقوف، وليس كبلاط للمصاطب. تم إنتاج مادة الأسبستوس وصفائح السقوف الأسمنتية لأول مرة في عام 1900 ومنذ عام 1910 تم إنتاجها على نطاق واسع في عشر دول. استخدمت الصفائح المثقوبة في مشبك معدني، لأن

صفائح الأسبستوس تميل إلى الاعوجاج في الشمس. لا بد من الإشارة إلى أنه إذا استعملت لوائح الآجر في بداية بناء المستوطنة، فهذا يدل على أنه استعمل بالأساس في السنوات 1910-1920. ويحتمل أن استعمال صفائح القرميد تشير إلى استخدامها في عمليات ترميم لاحقة.

تاريخ المستوطنة

كنشاط جماعي قمنا بإعادة ترميم المستوطنة شمال بئر السبع، ويستدل من هذا العمل أن إنتاج صفائح القرميد بكميات تجارية عائد إلى عام 1910، من خلال عائلة ذات أصول مارست إنتاج صفائح الأسبستوس التي عثر عليها اثناء التنقيب. بعد بضع سنوات انتشر سكان المستوطنة إلى الشمال الشرقي، وبدأوا بإعداد وزراعة حقول جديدة، وتأمين مصادر المياه بجمعها في خزانات إضافية. تم تشييد عدد من المباني الإضافية بعد تنظيف جوانب التل، وبناء عدد من الدرجات الزراعية. أقيمت هذه المباني على امتداد الجدار الجنوبي الشرقي وليس في وسط الحقل، وجود مخزن من القضبان المعدنية، الأدوات والصفائح المعدنية باقية على أرضية أحد المباني، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن البناء لم يكتمل. وقد يعكس هذا، هجر المستوطنة نتيجة انحسار مكانتها شمال بئر السبع في فترة الانتداب البريطاني.

فقدت بئر السبع أهميتها الاستراتيجية مع بداية فترة الانتداب البريطاني،

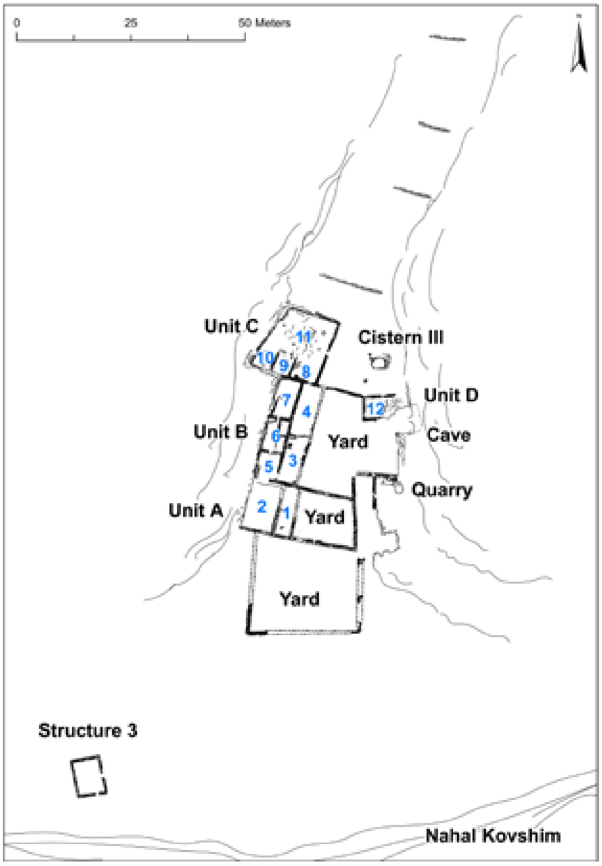

الشكل 3. بئر السبع، خارطة المستوطنة العثمانية.

الشكل 4. بئر السبع، الوحدة السكنية (B)، بقايا الجص على أرضية وجدران غرفة رقم 6.

الشكل 5. بئر السبع، المغارة والوحدة السكنية (D).

الشكل 6. بئر السبع، مبنى (رقم 3).

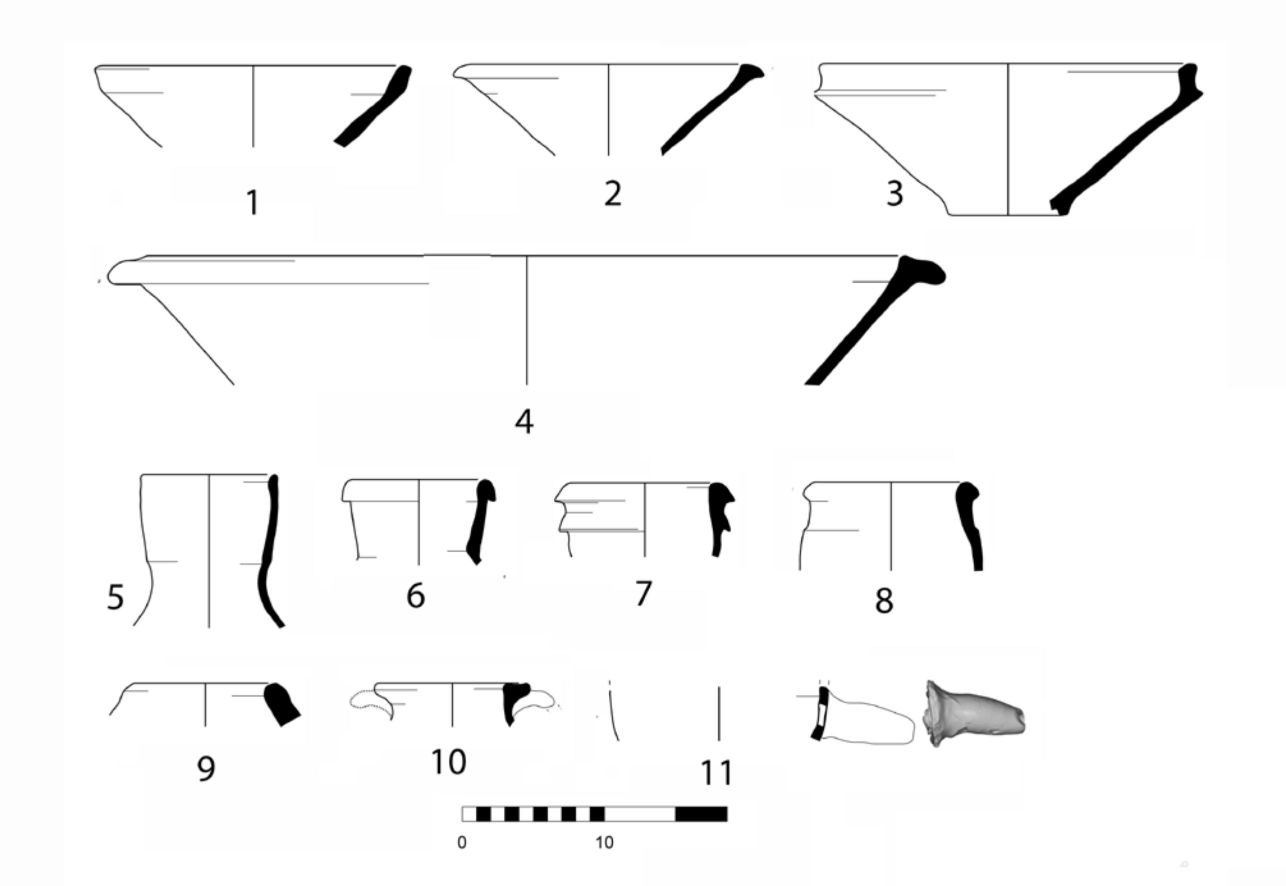

الشكل 7. بئر السبع، الموجودات الفخارية.

على الرغم من أن المدينة بقيت عاصمة المنطقة، إلا أن معظم المصانع أغلقت وأضحت فرص العمل نادرة. كما أصبحت المستوطنة المذكورة مع مبانيها مهجورة، رغم أن هذا قد حدث بعد سنوات لاحقة خلال حرب عام 1948. اكتشاف النقود المعدنية «2 مل» وزجاجة تشير إلى وجود أنشطة داخل المستوطنة خلال أوائل الأربعينات من القرن العشرين. قد تعكس هذه الانشطة آخر فترة تم فيها استعمال القرية الصغيرة، ولربما كانت هذه الاكتشافات من بقايا مخلفات الجنود في المنطقة خلال الحرب العالمية الثانية.

تعقّب السكان وتواصلهم مع بئر السبع العثمانية

ظهرت في تلال يهودا الجنوبية تصاميم بناء مشابهة لمستوطنة بئر السبع. هناك يعيش البدو في منطقة هضاب يهودا الجنوبية، على الأغلب في المغاور أو في تجاويف طبيعية موسعة، وكانت هذه الظاهرة شائعة في العصور الرومانية والبيزنطية وكذلك في الآونة الأخيرة. كان الدخول إلى المغارة عبر فناء واسع مُصوَّن، يتم بناء جدران داخلية لتقسيم الكهف. استخدمت الكهوف كحظائر للحيوانات، وأماكن للسكن أو كليهما. على الرغم من أن مستوطنة شمال بئر السبع كانت تعتمد بشكل أساسي على الزراعة، إلا أنَّ تسوية الأرض والالتفاف إلى جانب التل كان مستوى ومدعومًا بالتعامل التقني في الماضي مع الكهوف. لذلك علينا الاعتراف بسكان القرية الصغيرة أنهم بالأصل من جنوب هضاب يهودا. قد لا يمثل عدم وجود غلايين التدخين في الحفريات الحالية صورة دقيقة، إلا إن ذلك قد يتغير مع عمليات التنقيب المستقبلية لبعض المواقع في منطقة بئر السبع. يمكن العثور على دعم لهذه الحجة في صورة التقطت في بئر السبع خلال العشرينات لرجل بدوي يدخن الغليون. من الواضح أن بعض الأشخاص الذين عاشوا، عملوا، ربما مرّوا في بئر السبع، كانوا قد دخنوا الغليون. تُظهر الصور والاكتشافات الأثرية الأخرى أن تدخين الغليون كان يُمارسه عادة سكان الريف طوال عام 1940، والنساء البدويات بشكل خاص. يظهر في صور لبئر السبع، التقطت في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي، السكان المحليين يدخنون السجائر، وأحيانا يظهر سائح غربي يدخّن الغليون. في المراكز المدنية، تحول مدخنو التبغ بالتدريج إلى تدخين السجائر. منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت السجائر تلعب دورًا مكملًا لتدخين الغليون. بحلول عام 1929 توقف انتاج غلايين التدخين المصنوعة من الطين وإزاء هذه الحقائق، فإن قلة تدخين الغلايين في بئر السبع يعكس الطابع والتركيبة الاجتماعية للناس. كانت بئر السبع مدينة جديدة، وكانت تفتقر إلى مراكز الإنتاج الداعمة التي تتمتع بها مدن أخرى. تشمل هذه الخدمات، الخيّاط وصانع الأحذية وورشة عمل الغلايين المصنوعة من الطين. على

سبيل المثال تم تزويد القدس بغلايين الطين من ورشة العمل في قرية القسطل. بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن الغلايين المستوردة من بيروت كانت مرغوبة وشائعة في القدس. ويلاحظ أنه عندما تكون المدينة جديدة، فإن السكان يأتون بالقليل. ولهذا لا توجد في بئر السبع أكوام النفايات المتراكمة نتيجة للمعيشة على مدى قرون. في أوائل القرن العشرين لربما كان هناك بعض الذين عاشوا في بئر السبع ودخنوا الغليون، ولكن يبدو أن غالبية المدخنين دخنوا السجائر والنرجيلة. ويذكر أن سكان المستوطنة في شمال بئر السبع كانوا مرتبطين اقتصاديًا ببئر السبع نفسها وسوق الأربعاء فيها. ويشار إلى أن النقص في استعمال الغلايين في القرية الصغيرة يدل على أن سكانها تأثروا ثقافيًا ببئر السبع أيضًا. مثال آخر على الثقافة المدنية هو استخدام صفائح القرميد والرخام للسقوف وكذلك الأكواب الزجاجية التي عثر عليها في عمليات التنقيب.

تم توثيق مدينة بئر السبع بشكل جيد في التاريخ، والتي تتضمن رسائل وصورًا رسمية منذ التخطيط الأساسي للمدينة، تدشينها، متابعة تقدّمها وتطوّرها حتى يومنا هذا. نظرًا لدور بئر السبع الاستراتيجي وسيطرتها ومدّ نفوذها على الجنوب، وعلى الطريق المؤدية إلى قناة السويس ومصر خلال الحرب العالمية الأولى، قامت القوات الألمانية والبريطانية بتصوير المدينة من الجو. هذه الصور أبرزت مركز المدينة الذي يقع في وسطه المقرّ الحكومي، المطار والقواعد العسكرية الواقعة إلى الشمال الغربي من وسط المدينة. لم تلفت المستوطنة التي تم التنقيب عنها، والتي تقع على بعد 5 كيلومترات شمال المدينة العثمانية، الانتباه، ولذا لم يتم تصويرها عمدًا، كما أنها غير موجودة على خريطة (ال-PEF) صندوق الاكتشافات الفلسطينية. عندما تم تصوير بئر السبع، بقيت المستوطنة خارج مدى التصوير. وما كنا سنعلم بوجود مستوطنة شمال بئر السبع لولا الحفريات الأثرية. توفر الحفريات، اكتشاف المواد، وتجميع الفخار إلى جانب العرض التاريخي، معلومات عن مستوطنة غير معروفة من فترة الانتداب العثماني البريطاني الأخيرة. كما أن أسلوب البناء في المستوطنة يساعد على ارتباط السكان بتلال يهودا الجنوبية ومنطقة الخليل.

ثقافة أسبلة الماء وانعكاسها على العامة في مدينة عسقلان

د. آفي ساسون - كلية عسقلان الأكاديمية
ترجمة د. وليد أطرش

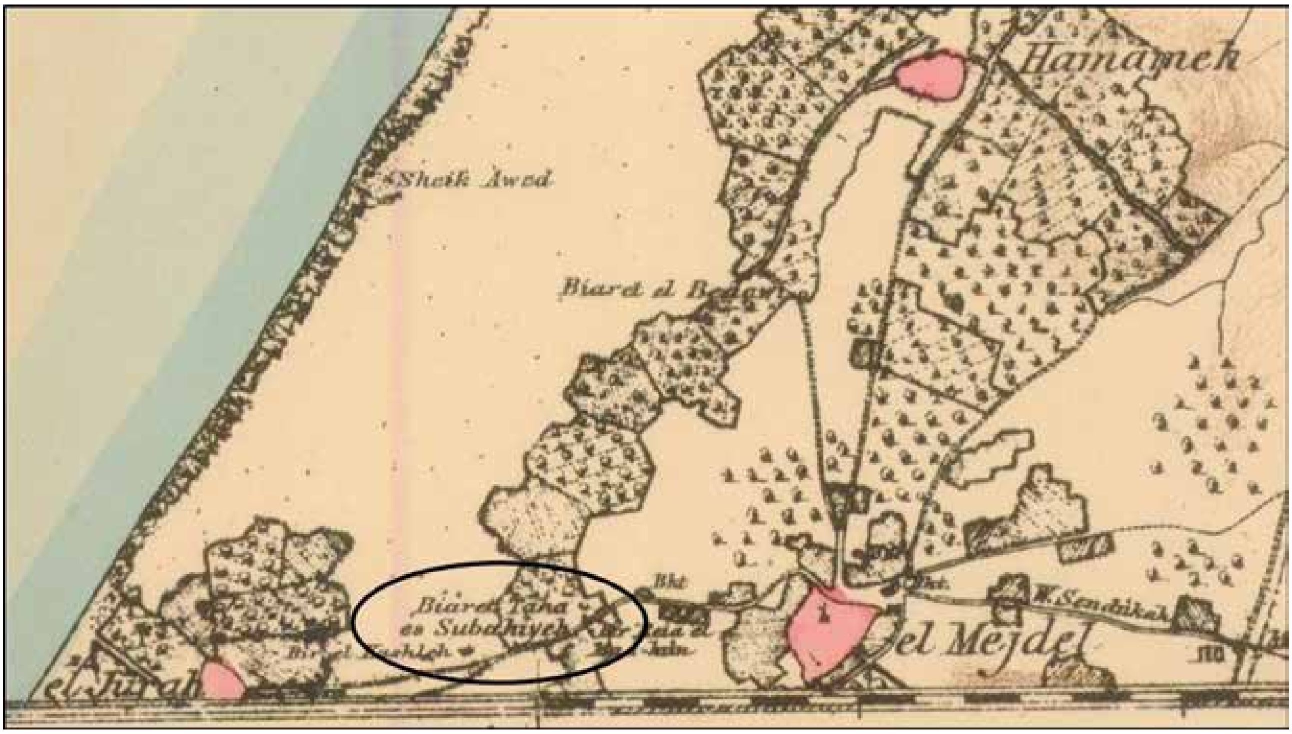

الشكل 1. بيارة تقه في خريطة المسح الميداني البريطاني

مقدمة

تزويد المياه للعابرين على الطرق كانت عادة سائدة منذ الفترات القديمة وصداها نجده في الأدب القديم. هذه العادة استمرت أيضا خلال الفترة العثمانية وتبناها المسلمون لاحقاً، مثلما تبنوا عادات وقوانين أخرى. كان هذا الأمر واحد من واجبات السلطة العامة التي اهتمت بحفر وتنظيف آبار وبناء مجمعات ومخازن مائية من وقت لآخر. بالإضافة الى ضخ مياه الآبار التي حفرت على جوانب الطرقات، وكذلك بناء أسبلة الماء.

ابتداءً من العصور الوسطى، عبّر المسلمون عن هذه الفريضة لأول مرة بصورة معمارية وذلك عن طريق بناء الأسبلة. جدير بالذكر أن الأسبلة القديمة والضخمة في البلاد تعود الى الفترة المملوكية وبداية الفترة العثمانية مثل الأسبلة في القدس، إضافةً الى الأسبلة التي أقيمت في عكا، وسبيل أبو نبوت في يافا خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

خلال العصر الحديث بادرت مؤسسات معينة بالبلاد بإقامة أسبلة عصرية، بأشكال مختلفة في مفارق الطرق في البلاد مثل: سبيل بيت سيفي في فرود، سبيل زلمن شزار في الطيبة، أسبلة شركة مكوروت بما في ذلك مدينة عسقلان، وبعض الأماكن القليلة الأخرى، لم تتطور هذه المبادرة ولم يبق منها الكثير. نرى أن هذه العادات والتقاليد التي كانت سائدة في العصور القديمة تطورت خلال الفترة العثمانية بأشكال مختلفة.

حتى الآن تم التعرف في البلاد على حوالي 300 سبيل من خلال المصادر المكتوبة والأبحاث الأثرية، ابتداءً من فترة المماليك وحتى فترة الانتداب البريطاني. معظم هذه الأسبلة نرى بقاياها في مراكز المدن القديمة وعلى حواشي الطرقات الرئيسية العثمانية.

يوجد في مدينة عسقلان حسب المصادر المكتوبة عشرة أسبلة، تبقى منها في المدينة ثلاثة فقط.

في عام 2004، أخذت كلية عسقلان على عاتقها مبادرة تأهيل بقايا السبل في واجهة الكلية، وإعادة بنائه لمصلحة الجمهور.

إذا نظرنا الى بقايا الآبار في عسقلان، يمكن أن نتعرف على العادة القديمة لتوزيع المياه على عابري السبيل، وعلى العلاقة بين الشخص الذي يسكن بجانب الطرق وبين عابري السبيل.

أصل تسمية السبيل

المصطلح سبيل في الإسلام له معنيان: الأول ديني روحاني والثاني وجداني إنشائي. في المعنى الديني السبيل هو الطريق المستقيم الصادق

الشكل 2. سبيل عسقلان قبل أعمال الصيانة والترميم

الشكل 3. سبيل عسقلان قبل أعمال الصيانة والترميم

الذي يتبعه الإنسان مع ربه وأصدقائه، وبالمعنى الوجداني الإنشائي، مشتق من كلمة سبيل (طريق)، هو وسيلة يستخدمها الإنسان لمصلحة الأخرين دون مقابل. السبيل في المعنى الإنشائي وعلى سبيل المثال بناء لتخزين الماء، غرس الأشجار للتظليل وطعام لعابري السبيل، كل ذلك يعرف بالسبيل.

مبنى السبيل

يظهر السبيل أحيانا كمبنى مستقل وأحيانًا يكون جزءًا من مبنى خاص أو عام، ولكل واحد عددًا من المميزات. يبنى السبيل من أربعة أجزاء رئيسية: خزان ماء، واجهة السبيل، منظومة التغذية وقنوات الصرف.

هناك منظومتان لتغذية السبيل بالماء: الأولى عن طريق الينابيع والثانية بواسطة الآبار المحفورة. في البلاد يوجد أربعة أنواع من الأسبلة مقسمة الى مجموعتين أساسيتين:

- أسبلة عامة أقيمت على أيدي السلاطين وحكام محليين في مراكز المدن، بجوار المساجد، والأماكن المقدسة والأسواق. والأسبلة التي بنيت خارج المدن والتجمعات السكانية على طول الطرق الرئيسية.
- أسبلة أقيمت بمبادرة شخصية، بنيت على أيدي سكان المدن والقرى وبتمويلهم الخاص. أسبلة أقيمت على طول الطرق القروية، وأسبلة أقيمت بجوار آبار وبرك مياه خاصة مثل أسبلة عسقلان.

يمكننا الإشارة الى سبب أخر لبناء الأسبلة وهو مرتبط بتعين والٍ جديد،

الشكل 4. تصوير جوي، كلية عسقلان والسبيل بجوارها (تصوير من كلية عسقلان)

وبكثير من الحالات كان في بداية حكمه يقوم بحفر وترميم الأسبلة وذلك لسد حاجيات المواطنين. أما بالنسبة لبناء الأسبلة الخاصة فإنَّ هذه الحضارة أَدخلت بعداً أخر للثقافة المحلية، وبالمقابل حصل أصحابها على إعفاءات من الضرائب.

هناك مميزات متواضعة جدا للأسبلة الخاصة في منطقة عسقلان وتختلف بشكل جذري عن الأسبلة التابعة للسلطة الحاكمة. مجموعة الأسبلة الخاصة أقيمت في المناطق القروية والزراعية. يمكننا الجزم أنه في المناطق الزراعية الغنية بالآبار يوجد فيها الكثير من الأسبلة.

المميزات الأساسية للأسبلة الخاصة بارزةً في نمطها التصميمي، والحديث هُنا عن مجموعة قروية، مصادرها الاقتصادية شحيحة، فإنَ النمط التصميمي للأسبلة بسيط ومتواضع، إضافة الى أنه مواد البناء لتلك الأسبلة هي مواد محلية. مثلا نرى أن الأسبلة المقامة على ساحل البحر الأبيض المتوسط كان شائعاً هناك استعمال حجر الكركار في بنائها. بالرغم من ذلك كان هنالك اهتمام باختيار مواد البناء والمحافظة بتخطيطها على التناظر وعلى جمال شكلها. في أسبلة أخرى استخدمَ في بنائها أجزاء معمارية قديمة سرقت من مواقع أثرية مثل الأعمدة، ألواح الرخام أو توابيت حجرية استعملت كحوض.

بشكل عام كانت تغذية مجموعة الأسبلة الخاصة بالماء بواسطة بئر قريب، تابعةً لأصحاب الأرض الذين بنوا الأسبلة. كانت المياه تقدم مجانا للمارة ولكنهم حافظوا على توفير الماء واستخدام الزائد منها ومن شبكة الصرف للري الزراعي. لهذا السبب كان في اغلب الأسبلة الخاصة صنبور واحد فقط، على عكس الأسبلة العامة التي يتواجد بها العديد من الصنابير.

مجموعة الأسبلة الخاصة خدمت بشكل عام الجمهور المحلي والفلاحين سكان المنطقة، ومن هنا ينبع تواضع وبساطة المبنى. بينما الأسبلة الخاصة القريبة من الطرق الرئيسية، الذين يخدمون المارة وقوافل الحجاج أقيمت بشكل أفخم مثل الأسبلة في منطقة أزور وأبو كبير.

السبيل في عسقلان

السبيل هو جزء من بيارة، وحسب خارطة بعثة المسح الميداني البريطاني من أواخر القرن التاسع عشر، سميت بيارة تقه على اسم مالكها من عائلة تقه. يوجد اليوم بقايا السبيل فقط، ولكن بالاستناد الى مصادر مختلفة يمكننا ترميمه. بني السبيل على مساحة كبيرة جدا نسبيا، في مركزها بئر بعمق 20 م. لا يوجد معلومات تاريخية عن المكان عدا عن تدوين اسمه في خريطة المسح الميداني البريطاني من عام 1878 (الشكل 1). حيث انتصب هيكل السبيل في البيارة الذي استعمل حتى نهاية فترة الانتداب البريطاني. السبب الأهم في اكتشاف مكان هذا السبيل وجوده على الطريق القديم الموصل من تل عسقلان الى الشرق والشمال. هذا المقطع من الطريق هو جزء من طريق قديم من الفترة الرومانية الممتد شمالا، وعلى طوله غرست

الشكل 5. سبيل عسقلان، الواجهة الغربية

أشجار الجميز وهي إحدى مميزات الطرق القديمة في منطقة الساحل.

بني السبيل كجزء من السور المحيط بالبيارة، وبرز باتجاه الطريق (الأشكال 2، 3). تخطيط السبيل مطابق للأسبلة الموجودة في المناطق القروية، ومنطقة الساحل ويافا بشكل خاص. السبيل بعسقلان (طوله 4 م، ارتفاعه 5 م، وبرز من سور البيارة حوالي 0.7 م) وبني من حجارة الكركار المشذبة. واجهته زينت بقوس كبير ارتفاعه 3 م، عرضه 2 م وعمقه متر واحد (الأشكل 4-6).

ترميم السبيل

تم ترميم السبيل على يد الفنانين «ورده جلبوع وايلن جلبر»، وهما صاحبا خبرة واسعة في ترميم الأسبلة وبنائها في أنحاء الأراضي المقدسة. كان هذا السبيل أول الأسبلة التي تم ترميمها في جنوب البلاد بشكل عام وفي عسقلان بشكل خاص. كان الهدف الأول إعادة بناء السبيل بدون التشديد على قواعد الترميم المتبعة في المواقع الأثرية، وتم إدخال أجزاء معمارية وعناصر فنية معروفة من أسبلة أخرى في أنحاء البلاد، حتى لو لم نكن متأكدين أنها كانت موجودة في هذا المبنى.

في البداية تم إزالة الجص عن حجارة الكركار الأصلية، التي تميزت بجمال خاص، خصيصًا في المنطقة المدنية المبنية باكتظاظ من مواد بناء غريبة. تم ترميم وتنظيف خزان الماء ودراسة شكله الأصلي ومحاولة فهم كيفية وصول المياه الى واجهة السبيل (الشكل 7). في واجهة السبيل أضيفت أجزاء معمارية وعناصر فنية مختلفة المعروفة في فن البناء من الفترة العثمانية.

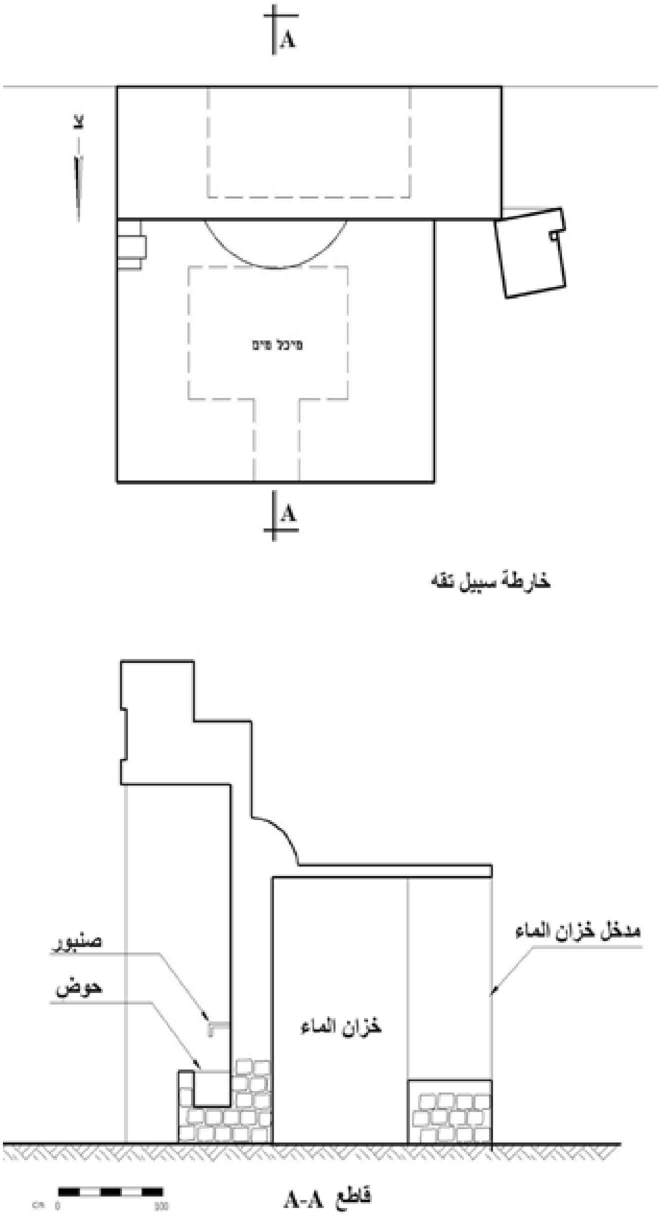

الشكل 6. خارطة سبيل عسقلان وقاطع (يوئف جولسط ويونل شربيط)

خلاصة

في منطقة عسقلان ورد من المصادر الأدبية وجود عشرة أسبلة، وبقي منها أثار ثلاثة في المدينة، اثنان أو ثلاثة بالقرب منها. المحافظة على الأسبلة واستخدامها من جديد لا يحتاج الى الكثير من الطاقات، لأن

الشكل 7. سبيل عسقلان، ترميم الصنبور

المبنى والبنية التحتية موجودة. في اغلب الأسبلة يجب القيام بعمليات محافظة أساسية على الحجارة والجص، العناية بالصنابير ومصدر الماء، وإضافة لافتات شرح تاريخي.

يجب الإشارة إلى أن ما يميز الأسبلة في منطقة عسقلان هو الاختلاف في تخطيط كل سبيل وسبيل مما جعل لكل سبيل مبنى خاص ومهم مقارنة مع كافة الأسبلة في أنحاء البلاد.

قلعة بيت جبرين: تجديد التحصينات في الفترة الصليبية

ميخائيل كوهين – سلطة الآثار

الشكل 1 - صورة جوية لموقع بيت جبرين (تصوير أ. غريتسر).

«عندما رأى رجالنا أن هجوم العدو لا يضعف، وأن قواتنا تجدد صمودها (...) لذا، بعد النظر في الأمر، قرروا بناء تحصينات حول منطقة العدو (...) لذلك اختاروا مكانًا ملائمًا في يهودا، في منطقة وقع الاختيار عليها أصلا لسبط شمعون، وخططوا البناء هناك من جديد، لمدينة قديمة مدمّرة اسمها بئر السبع. يقع المكان على سفوح الجبال، في مشارف وادي يمتد متواصلا بين الجبال حتى المدينة المذكورة (عسقلان). دُعيَ كل رجال المملكة للاجتماع وعلى رأسهم البطريرك ويلهلموس والنبلاء المحترمين. بنوا قلعة على بعد 12 ميلا من عسقلان محاطةً بسور لا يمكن اختراقه، سواتر وحفير وتحميها أبراج المراقبة، (...) حين انتهى بناء القلعة وتمّت بكل أجزائها، جرى تسليمها بمشورة مشتركة إلى كتيبة فرسان الهيكل في القدس، الذين يدافعون عن المكان بكل قواهم إلى اليوم (...) ومنذئذٍ أصبحت هجمات الأعداء أضعف (...)».

بهذه الكلمات يصف ويليام من صور (660 – 661 م)، أسقف مدينة صور وتوابعها، تأسيس مملكة القدس الصليبية ونواحيها، وحراس الهيكل في بيت جبرين، إزاء الجبهة الإسلامية في الجنوب ومركزها في عسقلان. يقبل الباحثون الصورة التي تظهر من هذا الوصف ومن وثائق أخرى لفرسان الهيكل. يبدو أن الأوصاف تعكس سير الأحداث في القرن الثاني عشر الميلادي في منطقة بيت جبرين.

كشفت الحفريات الأثرية الواسعة في موقع بيت جبرين، في مطلع التسعينات من القرن العشرين، بقايا هامة من تحصينات الصليبيين التي بنيت عام 1136 م (الشكل 1).

كان بناء القلعة في بيت جبرين جزءًا من سياسة المملكة الصليبية في القدس، وعلى رأسها الملك بولاك مانجو، الذي أقام أنظمة تحصينات دفاعًا عن حدوده. كانت قلعة بيت جبرين الأولى في سلسلة القلاع التي كانت معدّة لحماية الحدود الجنوبية للمملكة من أعدائها المسلمين الأشاوس. وبنيت في اعقابها قلاع أخرى: يافنة (1141 م) تل صافي (1142 م) والأخيرة – غزة في عهد بالدوين الثالث (1149 أو مطلع 1150 م؛ الشكل 2).

تشير المصادر التاريخية أن القلعة في بيت جبرين بنيت بدعم الملك بولاك مانجو وبمبادرة المملكة منذ عام 1134 م. وفي عام 1136 م تم تسليمها لفرسان الهيكل مع عدد من القرى في المنطقة وأربع مزارع أخرى في منطقة القدس. نشأت بجوار القلعة وبرعاية فرسان الهيكل بلدة مدنية، نالت كتاب حقوقها بمصادقة رئيس كتيبة فرسان الهيكل ريموند دي لا بواي عام 1160 م. تم تجديد كتاب الحقوق عام 1168 م

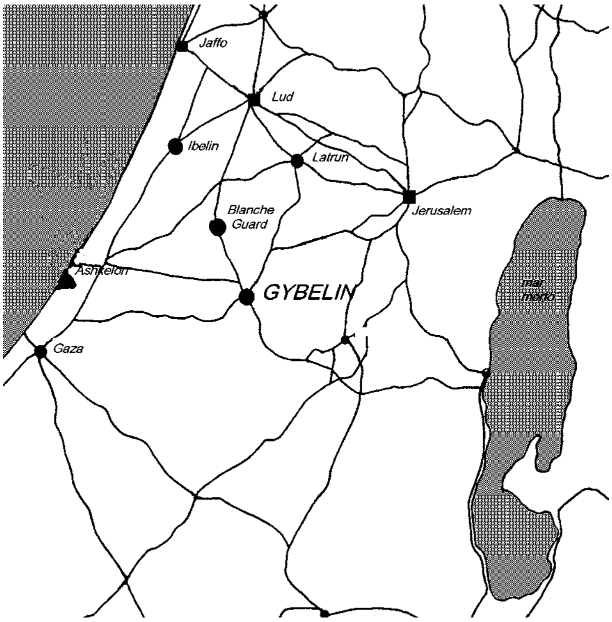

الشكل 2 - خريطة التحصينات جنوب المملكة الصليبية في القرن- 12.

ومرة أخرى في عام 1177 م.

ورد في وصف ويليام من صور، بعد الانتهاء من بناء القلعة، تراجع خطر الهجوم الإسلامي ولم يتلاشَ تمامًا. أوردت المصادر التاريخية أن هجومًا قد حصل على المنطقة في عام 1158 م، خمس سنوات بعد سقوط عسقلان وتوطيد حكم الصليبيين فيها. بقيت بيت جبرين تحت سلطة فرسان الهيكل حتى سبتمبر 1187 م، وأخليت القلعة بدون قتال نحو أربعة أشهر بعد الهزيمة التي منيت بها المملكة على يد صلاح الدين في معركة حطين. بعد أربع سنوات، وقبيل الحملة الصليبية الثالثة، هدمت القلعة.

تشير نتائج الحفريات الأثرية أن بناء القلعة أقيم على بقايا مبنى قديم. تتميز هذه المرحلة بالبناء المتطور الذي يعكس التطور المعماري العسكري في المملكة، واكتساب الخبرة في بناء القلاع الكبيرة.

كانت قلعة بيت جبرين أول ما بُنِيَ كقلعة حدودية لمملكة القدس الصليبية، وكانت القلعة الأولى التي تسلمها فرسان الهيكل. إن تطور التحصين ينعكس في خطة القلعة الأولى في المملكة، التي كانت كما يبدو نموذجًا لقلاع الصليبيين في البلاد.

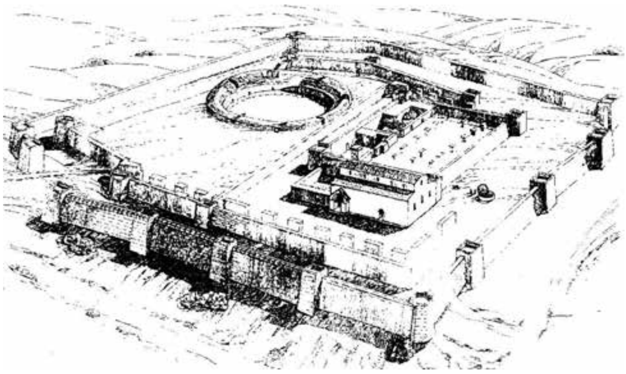

الشكل 3 – مجسم القلعة في بيت جبرين (فليكس بورتنوف).

بين الاستراتيجية والتكتيك

تقع بيت جبرين في سهول يهودا في خط التماس بين السهول العليا والسهول المنخفضة، التي اجتازتها الطرقات في سالف الزمن، واستمرت كقاعدة للطرق الرئيسية من القدس والخليل إلى الساحل الجنوبي. موقع القلعة الاستراتيجية خدم الأهداف السياسية لمملكة القدس الصليبية، بمعنى آخر: حصن الحدود الجنوبية للمملكة وسد الطرق أمام اعتداءات العدو. كذلك كانت القلعة قاعدة انطلاق لمهاجمة تحصينات العدو الأساسية في عسقلان. وكما في أماكن أخرى حيث بنيت القلاع الصليبية، فإن الاعتبارات الاستيطانية والزراعية كانت بغاية الأهمية لاختيار المكان. بيت جبرين بأرضها الخصبة وكميات الأمطار فيها لبّت هذا الاحتياج، إلى جانب تشخيص المكان كبئر السبع التلمودي منحته مسحة من القداسة.

وبالمقابل، فإن النواقص التكتيكية لموقع القلعة بارزة للعيان: بنيت القلعة في منطقة مكشوفة، وتشرف عليها هضاب من الجنوب والجنوب الشرقي. إن الظروف الطبوغرافية أعانت العدو للوصول إلى جوار القلعة حتى مسافة مئات الأمتار. بينما جرت مياه وادي جبرين من الشمال، الذي شكّل عائقًا طبيعيا وحيدًا حول القلعة.

بناء عليه، ما هو السبب لاختيار هذا المكان بالذات؟ أعطي لنا تلميح من أقوال ويليام، الذي أشار إلى بناء القلعة فوق خربة مدينة قديمة، والتي استخدمت آثارها مصدرًا فوريًا لمواد البناء. ونتعلم من الحفريات الأثرية أنه إضافة للاستخدام الثانوي لبقايا المدينة القديمة كمواد أولية، واستعملت الأسوار، الجدران ومجمعات كاملة، التي بقيت من فترات سابقة. يفترض أن مصادر المياه المتوفرة شكّلت عاملا حاسمًا لإقرار مكان القلعة. البئر المدعوة «بير القلعة» تقع داخل القلعة نفسها، أمتار قليلة شرقي الحصن الداخلي: البئر المدعوة «بير الحمام» تقع على خمسين مترا غرب سور القلعة.

اعتبار آخر لاختيار المكان، يمكن أن يأتي من مستوطنة قائمة لسكان مسيحيين محليين أو مسلمين كما تشير المصادر التاريخية القليلة. هذا الاعتبار للسكان المحليين، الذين كانوا أحيانًا مُعادين وبالتأكيد غيورين على ممتلكاتهم، نابع من اعتبارات خلق حالة من الهدوء والامتناع عن التحريض.

التحصين الصليبي على ضوء الحفريات الأثرية

أتاحت الحفريات الأثرية الكشف عن التخطيط الكاملة للقلعة وتفاصيل عديدة أخرى. امتدت القلعة على مساحة تزيد عن 25 دونمًا وأحيطت بثلاث حلقات دفاعية خارجية: الحفير، السور الخارجي والسور الداخلي. أقيم في وسط القلعة حصن داخلي وإلى جانبه بازيليكا

الشكل 4 - درجات صاعدة إلى البرج الشمالي الغربي للحصن الداخلي.

الشكل 5 - الحصن الداخلي بعد حفره، في الوسط الساحة المحاطة.

(الشكل 3).

خريطة القلعة غير عادية بأساسها، بل هي متأثرة عمليا ببقايا المدينة القديمة. تمت إعادة استخدام سور المدينة الرومانية – البيزنطية في الشمال والغرب، كجزء من أسوارها. أقيمت القلعة الداخلية على أسس بقايا الحمام الروماني – البيزنطي. وكذلك الكنيسة الصليبية أقيمت على الجدران التي بقيت من الحمام، وهذا فرض مقاييسها وخريطتها المميزة. التحليل المعماري لخريطة القلعة وتطبيق تقنيات البناء تشير إلى عدم التناسق في التخطيط، استخدام مواد أولية مختلفة وفوارق ملحوظة بجودة البناء، التي تدل، كما يبدو، أن بناء القلعة وتطورها جرى على مراحل.

المرحلة الأولى

بنيت القلعة في المرحلة الأولى وفقًا لخطة عامة تربيعية، التي شملت القلعة الداخلية والسور المحيط. ما يميز هذه المرحلة هو الاستغلال المكثّف لبقايا المباني والفراغات القديمة، واستخدام مواد البناء من فترات سابقة. إن الاستخدام الثانوي لحجارة البناء بأحجامها المتفاوتة، أدى إلى عدم التناسق بين حجارة البناء والمسافات الواسعة بالروابط. هذه الروابط سدّت بالطين على أساس الجير بلون أبيض عاجي، وحفرت عليها شقوق بشكل «شوكة».

استخدم في بناء القلعة الحجر الجيري الرملي المائل إلى الصفرة لتركيب زركشة التصاميم، مثل: إطار الأبواب والفتحات، الأقواس والبوابات، ظهرت عليها النقوش المائلة، التي تميز البناء الصليبي.

أسوار القلعة

اعتمد بناء أسوار القلعة من الشمال والغرب على أسوار وابراج المدينة من العهد الروماني والبيزنطي. بنيت في الجنوب والغرب أسوار جديدة، واعتمد معظمها على جدران قديمة. كافة الأسوار والأبراج مستقيمة بهذه المرحلة (عامودية)، غير مائلة، وتتراوح المسافة بينهما 2 – 2.5 م. أحد الأبراج الذي كشف في خط الدفاع الجنوبي هو من طراز الأبراج المليئة، بدون غرف داخلية كما نجد في مواقع أخرى. هناك برجان آخران المركزي والمثمن في الجنوب فيهما غرف منذ مرحلة سابقة. أبراج أخرى من الفترة الرومانية على امتداد الأسوار القديمة، والتي أدمجت بالتحصين الصليبي كانت ذات غرف داخلية. يتقدم السور في الجنوب الغربي برج نصف مثمن، الذي استخدم كغرفة حراسة ومراقبة للقادمين إلى القلعة.

الحصن

أقيم في وسط القلعة حصن داخلي شكّلَ لُب القلعة. كان الحصن محميًا كليًا وللدخول إليه ينبغي اجتياز طريق ملتوية، يمكن الإشراف عليها من الأعلى. كما شملت الطريق خمس بوابات في المرحلة القديمة، وست في المرحلة الثانية (الشكل 3).

إن الحصن يدمج الاستخدام الأخير في الفترة الصليبية وما بعدها حتى أواخر الفترة المملوكية، ولذلك فإن تفاصيل الفوارق بين المرحلتين الأولى والثانية غير واضحة تمامًا.

الحصن الداخلي مربع (50× 50 م) تحيطه أسوار سميكة (سمكها 4 م)، وأربعة أبراج في الزوايا، التي اعتمدت أساساتها على جدران مبنى الحمام الروماني – البيزنطي. جدران الحصن الداخلية بنيت من مواد بناء من الفترات السابقة، مثلا، معظم الجدار الشرقي مبني من مقاعد المدرج الروماني. تؤدي إلى البرج الشمالي الغربي درجات بنيت على قوس ألصقت بالقنطرة (الشكل 4).

تقع بوابة الدخول الرئيسية للحصن في جدار القلعة الغربي، وتقع بوابة أخرى في الجدار الشرقي، يمكن الوصول منها إلى بئر الماء.

في وسط الطابق الأول للحصن باحة واسعة كانت بمثابة المخازن، ومن المحتمل أن الفناء استخدم كدير لرهبان كتيبة فرسان الهيكل. حول الفناء هناك نماذج فنية، التي حملت قناطر متقاطعة، واستخدمت كقاعدة لطابق علوي الذي استخدم كما يبدو لسكان الحصن (الشكل 5).

استخدم القسم الغربي من الحصن كمنطقة صناعية، وكشفت فيه المخازن، الأفران، الأحواض والبرك. نفتقر إلى معلومات واضحة حيال طبيعة الصناعة، لكن يحتمل أن الأفران استخدمت لمطبخ الحصن.

الشكل 6 - غرفة الطعام والموائد الحجرية بعد سقوطها.

وعثر في القسم الجنوبي للمنطقة الصناعية على ممرّين قديمين من الفترات الرومانية والبيزنطية، وقد فتحت نحو الجنوب إلى المخازن ومجمعات مياه أخرى.

تقع في القسم الجنوبي للحصن صالة واسعة الأبعاد، التي عرفت كقاعة طعام، وكان الدخول إليها من الغرب، ومن الكنيسة من الشمال وجنوب الفناء المحاط. كما أن الدرجات المصممة أدت منها إلى الطابق العلوي. واستخدمت كموائد أعمدة حجرية قديمة التي اقتطعت طولا ووضعت على قاعدة حجرية (الشكل 6).

تضمنت القلعة في جزئها الغربي مبنى المدرج الذي استمروا باستخدامه كمكان للإسطبلات، ومنطقة صناعية حتى الفترة المملوكية. بني جدار بين المدرج والحصن وقسم ساحة الحصن الى قسمين. كان الجدار جزءًا من نظام دفاعي معزز للقلعة الداخلية، وأعدّ لسدّ الوصول من جهة الغرب. وكُشفت على امتداد الجدار شقوق الإطلاق التي سيطرت

الشكل 7 - بوابة داخلية شمالي القلعة وأمامها الجدار.

الشكل 8 - بوابة محاذية للمدخل الرئيسي للقلعة الداخلية.

على القادمين إلى الحصن، الذين اضطروا إلى العبور عن طريق بوابة إضافية في القسم الشمالي لهذا الجدار (الشكل 7).

وكذلك بني جدار من جهة الغرب الذي استعمل كحائط دفاعي وحاجز أمام إمكانية الدخول من شمال مبنى المدرج. وكشفت بوابة أخرى بمحاذاة الكنيسة الرئيسية في الحصن الداخلي (الشكل 8).

المرحلة الثانية

بنيت المرحلة الثانية بعد استقرار فرسان الهيكل في المكان، يحتمل أنه مضت سنوات قليلة فقط بين المرحلتين، لأن التحصين في المرحلة الأولى كان ضعيفًا ومحدودًا إزاء التطورات في ساحة المعركة، مما ألزم تحسينات ضرورية لحماية الفرسان المقيمين فيه.

بنيت في المرحلة الثانية شبكة تحصينات شاملة، تضم قنوات الحفير الخارجية وأنظمة الأسوار الخارجية. خلافا للمرحلة الأولى، تتميز المرحلة الثانية بالتخطيط وفقًا لتقاليد وتكتيكات البناء الصليبي. بنيت جدران التحصينات من حجارة منحوتة، ومرصوفة بتناسق دقيق. كثيرًا ما استخدمت الحجارة ذات الحواف البارزة، خاصة في زوايا الأبراج. جدران الأسوار مائلة نحو الحفير (4-5 درجات) ويتغير عرضها بين 2-4 أمتار وفقًا لارتفاع الجدار.

حلقة الأسوار الخارجية أحيطت بحفير الذي كُشف من الجنوب والشمال. يفترض أنه بنيت أسوار مضادة أمام الأسوار من الجهة الخارجية، ولم يتم كشفها حتى الآن. استخدم وادي جبرين شمال القلعة كحفير.

بنيت على طول محيط أسوار القلعة أبراج، كشف منها حتى الآن ثلاثة عشر. تخطيط الأبراج وموقعها اعتمد على الأبراج من المرحلة الأولى، بحيث خلقت نظامًا موحدًا ومعقدًا من الأبراج المتداخلة بالتناوب مع الأسوار الخارجية والداخلية. تمكنوا بهذه الصورة من استغلال قوة النار لكل الأبراج في آن واحد (الشكل 9).

كُشف في البرج الجنوبي عن طابقين، وكما يبدو كانت عليهما شرفة إطلاق. كان مدخل البرج من الشمال عبر درب خدمات، اجتازت بين

الشكل 9 - حلقة التحصين الجنوبية والبرج الجنوبي.

خطّي الأسوار. ربطت الدرجات بين الطابقين الأوليين. برز البرج جنوبًا عن خط السور، وبنيت بكل اتجاه شقوق الإطلاق: في الطابق العلوي ثلاثة شقوق إطلاق وفي الطابق السفلي شق إطلاق واحد في الواجهة، وفتحتان للهجوم إلى داخل الحفير باتجاه شرق وغرب.

كُشف في الجزء الشمالي الشرقي من القلعة برجان متجاوران، كان في البرج الركني الشمال شرقي شقان للإطلاق نحو الشمال والشرق، وصل بينهما درابزين من أجل التنقل السريع (شكل 10). كما كانت لهذا البرج فتحة هجوم باتجاه الحفير نحو الغرب، وفتحة أخرى جنوبية لداخل القلعة. البرج المجاور له كان برجا مليئا دون غرفة داخلية، وكذا كان البرج الركني الجنوبي الشرقي.

ظهور فتحات الهجوم في أبراج بيت جبرين هي من الأوائل والأقدم التي كشفت حتى الآن، قد تكون هذه تفصيلا جديدًا في التحصين الشرقي، وتم تطويره في هذا المكان.

بعد إضافة حلقة التحصين الخارجية في جنوب غرب القلعة، أصبحت البوابة داخلية، واعتمد عليها مرتقى مبني فوق قنطرة، وأتاح انتقالا دائمًا بواسطته.

جرى في هذه المرحلة استخدام مكثف للحجر الجيري الرملي المائل إلى الصفرة، ومصدرها كسارات في منطقة كيبوتس بيت نير. هذا الحجر يتيح نحته وتهذيبه وتجميله، وعثر عليه في التفاصيل المعمارية مثل: الأبواب، الأقواس والبوابات، التي يظهر عليها بوضوح التهذيب المائل، الذي يميز البناء الصليبي.

المراحل المتأخرة

أجريت في كافة أنحاء القلعة إضافات من البناء يلغي بعضها التحصين في المرحلة المتأخرة، ويشير ذلك الى تقليل أهمية التحصين. قد يكون ذلك ناتج عن تعزيز الشعور بالأمن، في أعقاب سقوط عسقلان على يد الصليبيين في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. وقد يكون تزايد البناء متعلق بوصول 32 عائلة من الفرنجة نحو عام 1168.

جنوب الحصن وبمحاذاته، بنيت كنيسة بازيليكا فخمة، تجدر الإشارة

الشكل 10 - البرج الشمالي الغربي للقلعة وفيه شقوق الإطلاق وفتحة الهجوم.

إلى أن بناء الجهة الشمالية للكنيسة هدم البرج الركني الشمالي الشرقي للقلعة الداخلية (شكل 3). عثرتحت أرضية الكنيسة على عملة نقدية للملك أملاريكوس 1126 – 1174 م (الشكل 11).

الشكل 11 - عملة نقدية عثرعليها تحت أرضية الكنيسة منذ عهد الملك أملاريكوس.

كشفت في المنطقة الشمالية للقلعة بقايا كثيرة للمباني والمعدات، التي استخدمت في الحياة اليومية لسكان القلعة، مثل المشاغل الحرفية، المخازن والاسطبلات.

الخلاصة

تحليل نتائج الحفريات الأثرية في بيت جبرين يعزز المعلومات من المصادر التاريخية، كما يظهر بأقوال ويليام من صور وبشهادات فرسان الهيكل. كانت القلعة أولى قلاع تحصينات الحدود في المملكة، والأولى التي تمّ تسليمها لكتيبة الرهبان.

يعكس بناء قلعة بيت جبرين مرحلتين أساسيتين، تطور التصميم المعماري العسكري في المملكة: مرحلة البناء الأولى، جرت بمبادرة رسمية، والمرحلة الثانية بعد تسليم القلعة لكتيبة فرسان الهيكل. استخدمت في المرحلة الأولى بقايا المدينة القديمة، كقاعدة وكبنى تحتية للبناء وكمصدر لمواد البناء الأولية. في المرحلة الثانية بنيت التحصينات الجديدة بتخطيط صارم، وجودة بناء عالية أكثر، واستخدم فيها أفضل وأنجع تقنيات البناء. إن ظهور فتحات الهجوم تدلّ هي أيضًا على التطور المعماري العسكري، الناجم عن اكتساب الخبرة والتجربة.

تشكّل القلعة في بيت جبرين تجديدًا وانطلاقة فكرية في بناء التحصينات في النصف الأول من القرن الثاني عشر، واستخدمت كنموذج في عملية تطور القلعة المركزية في مملكة القدس الصليبية وفي المنطقة.

منطقة مشققة: دراسة ميدانية للحروب وحصار منطقة تل عسقلان في الفترة الصليبية

رفائيل ي. لويس - كلية أشكلون الأكاديمية وجامعة حيفا

الشكل 1 - عسقلان، صورة جوية 1945، انتبهوا إلى الكثبان جنوب التل وعلى امتداد ساتر المدينة حتى خط بوابة القدس.

مقدمة

إن التدقيق بالصور الجوية من 5 و27 يناير 1945 لمنطقة تل عسقلان يشير إلى ظاهرة مثيرة للاهتمام. إذ تُظهر الصور فوارق جوهرية في طبيعة المنطقة الواقعة داخل الساتر الترابي للمدينة وشمالها، كذلك المنطقة الواقعة جنوبها. بينما المنطقة الواقعة جنوب التل وحتى منتصف الطريق شمالا على امتداد الجزء الخارجي من الساتر هي منطقة رملية، أما في منطقة التل نفسها وشماله هناك أدلة على أعمال مكثفة وواضحة عن النشاط الزراعي والاستيطاني. يمكننا القول إن هذه الظاهرة كانت نتيجة للحصار الذي أدى إلى احتلال عسقلان عام 1153 على يد الفرنجة، أو الحصار الذي فرضه صلاح الدين في 4 سبتمبر 1187 وانتهى باستسلام المدينة (الشكل 1).

عسقلان ساحة معارك في الفترة الصليبية

شهد تل عسقلان أحداثًا تاريخية لا تحصى منذ بداية الاستيطان في المنطقة، واتسمت العديد من هذه الأحداث بطابع العنف. نظرًا لأن المدينة تعدّ نقطة رئيسية هامّة في السيطرة على فلسطين، فلا عجب أن المعركة الأخيرة للحملة الصليبية الأولى قد هُزمت في حقول عسقلان. في وقت مبكر من صباح يوم 12 أغسطس 1099، فاجأت جيوش الفرنجة

(الصليبيين) الجيش المصري الفاطمي، الذي كانت خيامه عند أسوار مدينة عسقلان. داهم الفرنجة المعسكر المسلم الغافل ودمروه بالكامل تقريبًا بوابل من السهام، تلاه غارة ساحقة بفرسانهم. تمّ سحق الجيش المصري تحت سنابك الخيل، في حين منع سكان عسقلان الصليبيين من دخول المدينة، والتي ظلت بواباتها مغلقة ولم تسقط بيد الفرنجة. شكّلت عسقلان طيلة أربع وخمسين سنة شوكة في حلق مملكة القدس، حيث انطلق منها المسلمون في غارات على المملكة الصليبية. وفي سنوات الثلاثين من القرن الثاني عشر، بدأ «بولك الخامس أنجو» ملك القدس تدابيره لعزل عسقلان. في تلك الفترة، اجتاحت بلاد الفاطميين صراعات عنيفة حالت دون قيادتها المتضعضعة مساعدة المدينة. تمكن الملك بالدوين الثالث، الابن البكر لبولك من احتلال المدينة وأراضيها الزراعية في 25 يناير 1153 بعد حصار دام سبعة أشهر. تمركز معسكر الفرنجة أمام أسوار المدينة ووقفت معظم القوات أمام بوابة القدس، البوابة الشرقية للمدينة، وانضم إلى الحصار أسطول مؤلف من 15 سفينة. واستطاعت قوات الفرنجة من إغلاق جميع المحاور المؤدية إلى المدينة. استخدمت صواري السفن لبناء آلات لحصار المدينة، وأبرزها برج الحصار المثير للإعجاب الذي تمّ نقله إلى بوابة القدس. في يونيو، بعد خمسة أشهر من القتال، ظهر أمام المدينة أسطول مصري مؤلف من سبعين سفينة، لكن بعد تفريغ الإمدادات في المدينة، عادت السفن المصرية من حيث أتت. التعقيدات السياسية في مصر منعت سكان عسقلان من تسلم شحنات مماثلة. وفي عملية يائسة، خرج المدافعون عن المدينة في إحدى ليالي يوليو، خارج الأسوار وأشعلوا النيران في برج الحصار، الّا أن الريح الشرقية نقلت النار إلى سور المدينة مما تسبب في انهياره. استغل فرسان الهيكل «التمبلاريون» الفرصة، وسارعوا إلى اختراق المدينة من خلال ثغرة نشأت هناك، بينما مُنعت قوات الفرنجة الأخرى من دخول المدينة عبر الثغرة (لضمان استيلائهم على أملاك المدينة). تم القبض على فرسان الهيكل في المدينة، إزاء قوتهم الضعيفة وذُبح أربعون منهم. استؤنفت غارات الفرنجة على سور المدينة بعد وقف قصير للقتال، قام فيه الجانبان بدفن موتاهم. حلّ الرعب بسكان المدينة بسبب هجوم الفرنجة العنيف، وبعد سبعة أشهر من الحصار، أعلن شيوخ المدينة أمام سكانها عن قرارهم بالاستسلام للفرنج، بشرط السماح لسكانها بالمغادرة إلى مصر. وافق بالدوين الثالث على هذا الشرط وفي 22 أغسطس، رحل سكان المدينة جنوبًا، تحت رعاية الفرنجة في قافلة إلى غزة، وقامت بعدها العصابات بذبح أفراد القافلة. منح بالدوين الثالث المدينة كميراث لأخيه الأصغر إميريليخ، ملك القدس في وقت لاحق.

كانت عودة عسقلان إلى يدي المسلمين جزءًا من حملات احتلال صلاح

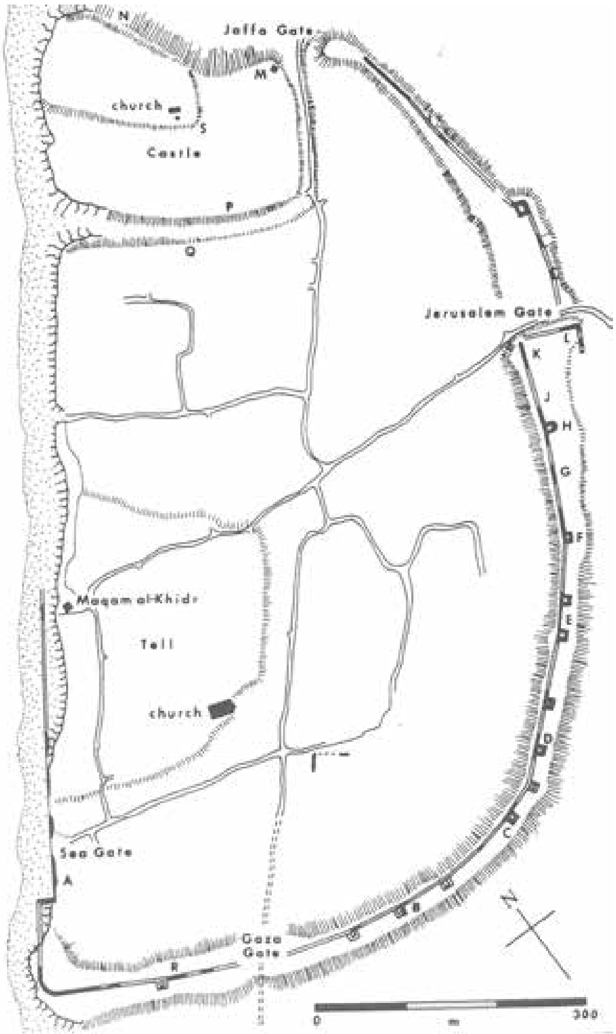

الشكل 2 - خريطة تل عسقلان بعد Pringle 2000

الدين الأيوبي بعد فوزه في معركة حطين. ومن أجل ضمان عدم تعرّض قواته لأي هجمات أثناء الحملة على القدس، أرسل القائد المسلم قواته جنوبًا إلى عسقلان. وحاول أول الأمر إقناع سكان المدينة بالاستسلام دون قتال، لكن هؤلاء اختاروا الحرب. وانتهى الاشتباك بعد أن أقنع ساغي دي ليسينيان (ملك القدس المخلوع) سكان المدينة بالاستسلام مقابل إطلاق سراحه، وضمان صلاح الدين لسلامة سكان المدينة. في 5 سبتمبر 1187، غادر السكان المسيحيون المدينة، واختار العديد منهم الصعود نحو القدس. صحيح أن عسقلان عادت إلى أيدي المسلمين بعد ما يزيد عن أربعة وثلاثين عامًا من حكم الفرنجة، إلّا أن رجال صلاح الدين دمّروا، اثناء الحملة الصليبية الثالثة، تحصينات المدينة كلها.

القضايا المنهجية الرئيسية

السؤال المطروح، هل يمكن الحصول على معلومات اخرى حول هذه الأحداث التي وقعت في منطقة عسقلان، مثل معركة عسقلان عام 1099 وحصار عسقلان عام 1153 و1187 بعد الفحص الأثري للمنطقة؟

إن محاولة معرفة البصمة المادية للأحداث التاريخية في مكان خاضع

للتغيير الدائم، خارج حدود الموقع الأثري التقليدي وبدون طبقة الدمار، تعتبر تحديًا كبيرًا. يكمن حلّ هذا التحدي المنهجي في علم الآثار الخاص بمنطقة الآثار الطبيعية (Landscape Archaeology). إن علم الآثار هو أسلوب عمل وإطار نظري، يتيح لعلماء الآثار الذين يعملون فيه أن يدرسوا بعمق، العلاقة بين الثقافات الماضية والمنطقة التي طوروها وعملوا فيها، كذلك العلاقات المتبادلة بين الإنسان وبيئته. يتمثل الاختلاف الأساسي بين طريقة البحث هذه وسواها أنه في علم الآثار للمنطقة، ينتقل التركيز من الموقع أو من التل الأثري إلى المنطقة بكافة مركّباتها، ويتم فحص جميع الفترات (بما فيها الأقرب إلينا) المتمثلة في المنطقة عن طريق مكوناتها المختلفة. علماء الآثار الذين يتبعون هذه الطريقة البحثية يفحصون المنطقة، يمسحونها، يحفرونها ويوثّقونها. تعتمد هذه الطريقة على فكرة أنه من أجل فهم أهمية أي نتيجة أو موقع فردي في المنطقة، يجب أن نفهم علاقتها بجميع عناصر المشهد الواقعة في محيطه. علم الآثار لساحة المعركة / الصراعات هو أحد فروع علم الآثار للمنطقة. إن استعادة بناء المشهد في البحث المكاني هو شرط يتيح فهم الطريقة التي أثّرت على الأحداث التاريخية، بما في ذلك العنيفة، التي وقعت هناك، وبذلك ترتبط الاكتشافات الأثرية المتعلقة بالحدث التاريخي مع السياق الأثري.

ساحة المعركة

تقع عسقلان على الساحل الجنوبي لشاطئ البلاد. تشمل المنطقة التي وقعت فيها الأحداث التاريخية ثلاث وحدات رئيسية: الوحدة الأولى عسقلان القديمة، وهي منطقة تضم هضبتان في منطقة الساتر الترابي الذي بني في العصر البرونزي الأوسط، وهو على شكل قوس تمتد أوتاره على الساحل من الغرب (الشكل 2).

أستخدم ساتر المدينة الكنعانية أساسًا للبوابات والتحصينات اللاحقة. أما التحصينات الفاطمية لعسقلان، في الواقع هي أسوار وتحصينات من الفترة الرومانية المتأخرة والبيزنطية التي مرّت بتغييرات وملائمة للواقع طوال الفترة. تم تحديد سبع مراحل مختلفة من التحصينات أثناء الحفريات التي أجريت على أسوار المدينة. خلال فترة مملكة القدس الصليبية، كانت أربع بوابات مركزية للمدينة: بوابة يافا، بوابة غزة، بوابة البحر، وبوابة القدس الأكثر أهمية والرئيسية بين البوابات. تألفت هذه البوابة من شبكة تحصينات مضاعفة برزت عن خط سور المدينة. يبدو أن نظام البوابة تضمن أيضًا باربيكان، وهو برج قتال أمامي تستخدمه وحدة قتالية مستقلة. كما سنرى لاحقًا، فقد لعب انحراف بوابة القدس دورًا رئيسيًا في الطريقة التي تطور بها المشهد جنوب البوابة وشمالها.

الوحدة الثانية، ذات صلة بمنطقة القتال، هي سلسلة من التلال تقع على بعد 600 متر شرق تل عسقلان. يمتد سفح التلال باتجاه شمال-جنوب، ويبلغ عرضه بضع مئات من الأمتار وأعلى قمّته (ترتفع 67 مترًا فوق سطح البحر)، حيث المسجد المفتوح على اسم الحسين بن علي، وهو اليوم في مجمع مستشفى برزيلاي. يقع المسجد على بعد 880 مترًا من أسوار عسقلان ويُشرف على التل.

الوحدة الثالثة، هي المزراب الممتد بين سفح الكركار وتل عسقلان. يمكن تقسيم منطقة المزراب إلى وحدتين فرعيتين: جنوبية وشمالية، تفصل بينهما بوابة القدس. تنحدر الجنوبية من خط بوابة القدس في الشمال إلى مجرى جدول يقع على بعد حوالي 400 مترًا جنوب التل، يتميز بغطاء رملي كثيف، وتكسوه النباتات التي تنمو بهذا النوع من التربة. يمتد المزراب الشمالي من خط بوابة القدس في الجنوب وعلى طول الساحل، بينما في الجزء الجنوبي، يمكن رؤية بقايا أشجار الفاكهة والبساتين بوضوح، وتقع على السفح من الشرق أنقاض قرية جورا.

شبكة الطرق والحقول

يمكن إعادة بناء شبكة الطرق القديمة في منطقة عسقلان بشكل رئيسي من خلال وصف الرحالة للخرائط والصور الجوية القديمة. ترتبط شبكة الطرق المحلية في منطقة عسقلان بشكل واضح بالمتغيرات التي طرأت عليها في العصر الروماني المتأخر، وشبكة الطرق الإقليمية والدولية.

يصف كوندر عسقلان في تقرير نُشر في المجلة الفصلية للصندوق

الشكل 3 - خريطة تل عسقلان بعد Conder 1875

الشكل 4 - صورة جوّية مقرّبة منطقة عسقلان 1945، لاحظوا شبكة الطرقات، الحقول، وتوقف الرمال عند خط بوابة القدس.

البريطاني لأبحاث أرض فلسطين (PEFQS): «عسقلان هي واحدة من أكثر الأماكن خصوبة في فلسطين. أسوار المدينة، التي وصفها ويليام (غيوم)، أسقف صور، كقوس وتحد مساحة خمسة أثمان الميل من الشمال إلى الجنوب، وثلاثة أثمان بالعمق. هذه المنطقة غنية بالحدائق، وفيها ما لا يقل عن سبعة وثلاثين بئرًا من المياه العذبة في منطقة الأسوار، من شمال التل وحتى قرية جورا، وثمة بساتين وآبار أخرى. يبدو أن المحاصيل في هذه المنطقة المحمية كانت أكثر وفرةً من تلك التي في السهل المكشوف. وتنتشر أعداد من أشجار النخيل، اللوز، الحمضيات، الأثل، الصبر، الزيتون والعنب التي تحمل أنواع الثمار، تزدهر الحبوب في البساتين وتنضج في وقت مبكر منذ أبريل. وإلى الجنوب تحيط بالتحصينات الرمال المتنقلة التي تغطي اليوم الحدائق التي كانت مفتوحة في السابق، وتهدد تحويل كل شيء إلى صحراء رملية، ما لم يتم إيجاد حلّ لوقف تقدمها.

ظاهرة تسلل الرمال باتجاه شرق- شمال شرق، وتغطية الأراضي الزراعية، لاحظها قبل بضع سنوات تشارلز وارن أثناء زيارته للمنطقة (1867). وفي الخريطة التي نشرها كوندر في عام 1875 ومرة أخرى كوندر وكيتشنر في نطاق مسح أرض فلسطين الغربية، ظهرت منطقة البساتين في تل عسقلان نحو مائة بستان أكثرهم بمنطقة الساتر. من الملاحظ أيضا أن ارتفاع الرمال غطى اعلى الساتر وبقايا الأسوار، ولكنه توقف بوضوح عند خط بوابة القدس (الشكل 3).

يشير المسح الميداني والبيانات الأثرية التي ظهرت في تل عسقلان، وجود عدة فترات أجريت فيها تغييرات بعيدة المدى على التل ومنطقته. ساتر المدينة في العصر البرونزي الأوسط، الأسوار الحجرية المتأخرة المبنية فوقها وتحيط بالبلدة القديمة على شكل نصف دائرة، بالتأكيد هي العنصر الأكثر إثارة للإعجاب والأبرز من صنع الإنسان في المنطقة. ولكن يبدو أن التغيير الأهم في مبنى المدينة والمنطقة المحيطة بها حصل في الفترة الرومانية المتأخرة في عهد سبتيموس سيفريوس (القيصر من 193 إلى 211 ميلادي) وخلفائه القياصرة السفيريون. انعكس نشاط القياصرة السفيريين في تغييرات بعيدة المدى على مبنى المدينة، وإنشاء مبانٍ عامة مبهرة، وزخرفتها بالتفاصيل المعمارية والتماثيل التي تميّز عصرهم؛ لكن يبدو أن تأثير تطور عسقلان تجاوز حدود المدينة.

تجدر الإشارة إلى أن التغييرات في مبنى المدينة أثناء الفترة المذكورة واضحة أيضًا في المناطق المحيطة بها. وتُظهر دراسة الخرائط من القرن التاسع عشر، والصور الجوية من أربعينات القرن العشرين، أن شبكة الشوارع داخل المدينة مستمرة في الانتشار خارج حدودها. كما يمكن العثور على علاقة مباشرة بين شبكة الطرق وشبكة الحقول حول المدينة (الشكل 4).

تنتشر الطرقات والحقول الرومانية على طول المزراب، وتصعد نحو أعلى السفح من شرقي التل. ولكن في منطقة التل فقط (في كعب جزئه الغربي) وفي المزراب الشمالي، يمكن مشاهدة توزيع ثانوي لشبكة الحقول الرومانية إلى قسائم ضيقة لحقول المشاع العثماني (الملكية المشتركة). وخلافًا للنشاط الزراعي المكثف الواضح على التلة والجزء الشمالي من المزراب، لا تظهر في المزراب الجنوبي أي دلائل على القيام بأي أعمال في الأراضي أثناء الفترة العثمانية (الشكل 5).

مناقشة

يظهر فحص لشبكة الطرق والحقول في منطقة تل عسقلان أن المنطقة لم تشهد أي تغيرات مهمة في مبناها منذ العصر الروماني المتأخر. وإن تسلّل الرمال في المنطقة الواقعة جنوب وشرق ساتر التل، التي توقفت عند خط بوابة القدس، تعتبر من الأمور غير المألوفة. يبدو أن مسار تسلّل الرمال إلى داخل البر، مرتبط بمسار جدول ماء الذي يصب بالبحر حوالي 400 متر جنوب التل، ويرتفع عبر الجدول مع الريح إلى البر. تعرض البيانات من المنطقة بعض النقاط المثيرة للاهتمام حيال المعركة في حقول عسقلان في 12 أغسطس 1099، ومسلسل حصار المدينة في 1153 و1187.

معركة عسقلان (1099): كانت الحقول الواقعة شمال وجنوب التل موقعًا لتجمع وتركيز قوات النخبة للجيش الفاطمي. وذلك لأن المنطقة المستوية الواسعة تشكّل مساحة كافية لمكوث قوات كبيرة. ويمكن استخدام سفح الكركار إلى الشرق والمدينة نفسها، للمراقبين الذين

الشكل 5 - منظر للشمال الغربي نحو مزراب عسقلان.

يحذّرون من دنو قوات العدو. كان ميناء المدينة المصدر لتزويد المدينة بالأشخاص والمعدات. يمكن لآبار المياه، التي تتجمع فيها المياه الجوفية الساحلية وموجودة في التل والمنطقة المحيطة به، أن تزوّد المياه الوفيرة طوال فصول السنة. ومع ذلك، فإن منطقة المزراب الشمالية، حيث يبدو أن الجيش الفاطمي توقف، لا توفر أي حماية طبيعية حقيقية، لأن المنحدر النازل بشكل معتدل نحو المزراب من السفح الشرقي، والسهل في الجزء الشمالي، هو منطقة مثالية لهجوم الفرسان.

ورد أعلاه أن شبكة الحقول المنتشرة حول التل هي رومانية الأصل. يمكن معرفة بعض حدود قسائم الأرض في يومنا هذا، وليس كما جرى في مناطق أخرى من البلاد، فهي غير مبنية من جدار حجري، لكنها مصنوعة أحيانًا من صفوف من الجرار (تكون عادة جرار غزة) المدفونة بارتفاع الكتف في التربة أو من سواتر ترابية وأعشاب. هذه بالطبع، لا تشكل عائقًا حقيقيًا أمام سلاح الفرسان. رغم كل هذا فإن تغييرات مهمة أجريت في هذه المنطقة على مدار العقود الأخيرة الماضية، وعلى الرغم أن هذه المنطقة هي جزءاً من «متنزه تل عسقلان الوطني»، إلا أنها لا تترك فرصة كبيرة في المنطقة للعثور على بقايا المعركة من أغسطس عام 1099.

يتيح لنا إعادة بناء المشهد الإشارة إلى بعض الأشياء المهمة حول منظومة الحصار في عام 1153 و1187.

أ. ثمة أساس معقول للاعتقاد بأن قيادة المعسكر، الذي حاصر المدينة، تمركزت في أعلى سفح الكركار شرق تل عسقلان، حيث يوجد اليوم مستشفى برزيلاي. يشرف ارتفاع هذا السفح على كل من منطقة بوابة القدس ومنطقة المزراب الواقعة بين السفح والتل. يمكن من هذه النقطة إدارة معركة استهداف أسوار المدينة بالإضافة إلى عمليات الحصار الأخرى، مثل: إغلاق المحاور، تأمين سلامة القوات المحاصِرة من الجناح ونقطة مراقبة نحو البحر. تعتبر هذه النقطة في الجزء العلوي من السفح مهمة جدًا، لأنها في الواقع نقطة أساسية في السيطرة على المدينة، فالسيطرة عليها شرط لحماية المدينة أو مفتاح لاحتلالها.

ب. شبكة الطرق في منطقة عسقلان، كما ورد، تعتمد بشكل أساسي على شبكة الطرق من الفترة الرومانية المتأخرة. لذلك، فإن إغلاق الطرق المؤدية إلى المدينة أمر بسيط، نظرًا لكون شبكة الطرق تصبّ في أربعة مفارق رئيسية فقط. لذا، فإن تخصيص قوة إغلاق في كل نقطة من هذه النقاط الأربع كافية لمنع اتصال بري بالمدينة (الشكل 6).

ج. تركزت محاولات استهداف الفرنجة للأسوار في عام 1153 في منطقة بوابة القدس، والتحصينات الضخمة عند البوابة الشرقية للمدينة. كما يبدو، هذه نقطة ضعف قائمة في المدينة، ربما بسبب دنوّها النسبي من السفح المسيطر عليها من الشرق. إن بقايا أسوار عسقلان الظاهرة اليوم حول بوابة القدس حُفظت لارتفاع نحو 10 أمتار. وقد تكون بقايا الأسوار الظاهرة في هذه المنطقة مجرد بقايا للأسوار المرممة بعد غزو الفرنجة للمدينة، أو من أعمال التحصينات التي قام بها ريتشارد الأول لأسوار المدينة بعد حوالي أربعة عقود من احتلال بالدوين الثالث لها. في كلتا الحالتين، يجب أن يرتفع برج الحصار 15 مترًا بالأقل وينتصب

على مسافة 200 متر (أبعد من إطلاق سهام الرماية) من خط التحصين الخارجي للمدينة. إطلاق السهام الدقيق إلى شوارع المدينة وحرق البرج يدلّ على أنه كان محاذيًا تقريبًا للسور الخارجي. يعدّ نقل برج الحصار في بيئة رملية عملية معقدة تتطلب بنية تحتية ضرورية، مثل وضع ساتر ترابي ورصف طريق في بدايتها لتربط المنحدرات الغربية وسفح الكركار الشرقي بأسوار المدينة. يمكن رؤية مثل هذه الطريق بالتصوير الجوي من يناير 1945. تبدو الطريق من الجو تتجه إلى شرق التحصين الداخلي لبوابة القدس، مرورًا بالبوابة، ولكن المكان الذي انتصب فيه الجدار الخارجي للمدينة، قد اختفى تحت رمال الحدود الجنوبية للطريق، وتتجدد هذه الطريق على جانبها بعد حوالي 80 مترًا شرقًا، ثم تبدأ في الصعود نحو السفح الواقع إلى الشرق. عمليًا، يمكن اليوم تحديد منطقة بين بوابة القدس وسفح الكركار الشرقي، بأنها ساتر اكتسى بالرمل على مرّ السنين. من المحتمل أن يكون ارتفاع الأرض هذا، الذي يربط التل بالسفح الشرقي، من بقايا الحصار الفرنجي أو الأيوبي. رغم أن هذا لا يمكن إثباته دون إجراء حفريات أثرية في الموقع، لكن الاحتمال كبير بأن بقايا ساتر الحصار هذا هو منذ 1187، فمن غير المعقول أن ساتر الحصار من عام 1153 لم تتم إزالته على يد الفرنجة خلال سيطرتهم طيلة أربعة وثلاثين عامًا على المدينة. أخيرًا، قد يكون الساتر الرملي الذي يتحرك بذات الوقت ومن الشرق، كساتر المدينة، قد خدم جيوش الفرنجة أو الأيوبية باعتباره ساترًا مضادًا، أي موقعًا لإطلاق السهام وملاذًا للرماة وأسلحة المدفعية (الشكل 7).

الشكل 6 - المندوب السامي هربرت صموئيل وأفراد حاشيته في بوابة القدس أثناء زيارته حفريات جون غرستنو 1920.

إذا كان استنتاجنا صحيحًا بشأن ساتر الحصار عند سفح بوابة القدس، فقد استمرت منظومة محاصرة المدينة من القرن الثاني عشر، بالتأثير على تطوير منطقة عسقلان لسنوات عديدة أخرى، حيث خلق الساتر حاجزًا للرمال، من صنع الإنسان، والذي منع تسلل الرمال إلى المزراب الشمالي. وقد أتاح هذا مواصلة استغلال المنطقة للزراعة، حتى بعد أن تمّ التخلي عن تل عسقلان نفسه وتوقف استيطانه، على عكس المنطقة الواقعة جنوب ساتر الحصار. أخيرًا، ثمة احتمال قوي أن تدلّ الحفريات الأثرية شرق بوابة القدس على مزيد من منظومة الحصار، وقد تظهر نتائج يمكن أن ترتبط بشكل واضح بهذا الحدث التاريخي الذي لا يزال يتردد صداه في منطقة عسقلان إلى أيامنا هذه.

الشكل 7 - نظرة إلى بوابة القدس، الطريق المؤدية إلى البوابة.

تغلغل الإسلام في المناطق النائية للأرضي المقدسة - منظر أثري من النقب

بروفيسور جدعون أفني - سلطة الآثار

الانتقال السياسي والثقافي والديني من الفترة البيزنطية إلى الفترة الإسلامية المبكرة، هو أيضًا انتقال من المسيحية إلى الإسلام في الأرضي المقدسة ومحيطها، حيث اعتبر حتى قبل ثلاثين سنة، عملية تاريخية واضحة وموثقة في المصادر التاريخية، تدعمها الاكتشافات الأثرية. ووفقًا للوصف التاريخي المعروف، فقد دخلت قبائل المسلمين من وسط الجزيرة العربية إلى سوريا والأرضي المقدسة، بسرعة كبيرة بعد بلورة الإسلام لدى القبائل العربية. حسمت القتال في البلاد عدد من المعارك الكبرى، بالأخص معركة اليرموك الشهيرة التي انهزم فيها الجيش البيزنطي امام المسلمين عام 636 م. وبغضون عقد من الزمن استقرّ الواقع السياسي، الثقافي والديني الجديد، في المنطقة الواقعة بين العراق، سوريا، الأرضي المقدسة ومصر، بالانتقال إلى السلطة الإسلامية. وصف معظم الباحثين نهاية الازدهار الاستيطاني في جبل النقب، والتخلي عن المستوطنات الزراعية في المنطقة، بتوغّل القبائل الإسلامية.

أثيرت في السنوات الأخيرة بنطاق الدراسة التاريخية، بعض التحفظات من هذا الوصف. ورأى عدد من الباحثين أن عملية توغل القبائل العربية في الأرضي المقدسة ومحيطها، وتوطيد الدين الإسلامي بهذه المناطق، كانت طويلة ومعقدة أكثر مما تورده المصادر التاريخية، والتي كُتب معظمها بعد سنوات طويلة من وقوع الأحداث. إزاء غياب المصادر الموثوقة، فإن الاكتشافات الأثرية تعتبر هي المصدر الأول، لتوضيح عملية التغيير التي اجتازتها البلاد عمومًا خلال هذه الفترة الصاخبة. في الواقع، في الثلاثين سنة الماضية، طرأت نهضة كبيرة في البحث الأثري في نهاية العهد البيزنطي والإسلامي المبكر.

إن الاكتشافات الأثرية في النقب ساهمت ببلورة البحث حول مسألة الانتقال الديني والثقافي، من الفترة البيزنطية إلى الفترة الإسلامية المبكرة، في الأرضي المقدسة ومحيطها، والأسئلة التاريخية الواسعة، المتعلقة بعملية تكوين الإسلام التقليدي.

يزوّد البحث الأثري المكثّف الذي أجري في النقب، كمية وافرة من المعطيات التي تتيح التطرق إلى العمليات السياسية والثقافية والدينية التي مرّت بهذه المنطقة، والتي تقع على أطراف هذه الأراضي. تركزت عمليات المسح والتنقيب في جبال النقب على المدن الكبرى – حالوتسا، رحوبوت في النقب، عبدات، ممشيت، شفطا ونيتسانا، كذلك في البلدات الصغيرة والحقول الزراعية القديمة في جبل النقب، والمواقع البدوية المتنقلة في تلك النواحي. كما أجريت عمليات مسح وحفريات أخرى في مناطق العرابا، جنوب النقب وإيلات.

مدن النقب في الفترات البيزنطية والإسلامية

جذبت الآثار المُبهرة للبلدات الكبيرة في جبال النقب، انتباه الباحثين والرحالة، منذ بداية البحوث الحديثة في المنطقة، في منتصف القرن التاسع عشر، إلا أن الحفريات الهامة الأولى في جبال النقب أجريت ما بين الاعوام 1934-1937، من خلال بعثة أمريكية حفرت في شفطا ونيتسانا. كشفت حفريات نيتسانا عن أرشيف الشهادات الإدارية المكتوبة ما بين السنوات 512-689 م. يعد هذا الأرشيف منذ ذلك الحين اكتشافًا من الدرجة الأولى، لفهم نسيج الحياة في جبال النقب خلال هذه الفترة، ومراحل تغيير الحكم من بيزنطي إلى إسلامي. استمر الأثريون بعمليات الحفر الواسعة في جبال النقب خلال السنوات الستين الماضية، حيث حفرت المدن عبدات، ممشيت وروحيبة، وفي السنوات الأخيرة عاودوا الحفر في شفطا ونيتسانا، وبذلك تشكلت صورة كاملة ومتكاملة لعمليات الاستيطان في المنطقة، في الفترتين البيزنطية والإسلامية. بالمقابل أجريت دراسة حول ألزراعة القديمة فيها على يد عدد من البعثات التي تركّزت في ترميم الحقول الزراعية، ودراسة أنواع النباتات التي شاع زراعتها في هذه المنطقة القاحلة. ساهمت هذه الحفريات والبحوث، هو في المقام الأول على فهم أفضل للتسلسل الزمني لمدن النقب، وتحديد وقت النزوح عن البلدات الكبيرة في الفترة البيزنطية في النقب. عند هذه النقطة، تباينت آراء الباحثين: إذ اعتقد الباحث ابراهام نيغيف أن ممشيت هُجِرت قبل الفتح الإسلامي، وأخليت عبدات بعد الاحتلال بفترة وجيزة، ولكن الأدلة الأثرية من حفريات شفطا ونيتسانا تشير بوضوح إلى استمرار وجود هذه البلدات حتى القرنين التاسع والعاشر للميلاد.

يشير الفحص الدقيق للمكتشفات الأثرية في عدد كبير من البلدات في النقب، إلى استمرار الغالبية العظمى منها في الفترة الإسلامية المبكرة على سبيل المثال، النقوش العربية القديمة على حجارة المباني. لم تدمر عبدات عند احتلالها، بل استمرت المستوطنة قائمة هناك حتى القرن السابع الميلادي، وسبب دمار أجزاء منها كان بسبب زلزال شديد، وأظهرت الحفريات في روحيبة أن المستوطنة دامت حتى القرن الثامن. الأدلة الأكثر تأكيدًا على استمرارية الاستيطان على المدى الطويل

الشكل 1 - صورة جوية لمدينة شفطا.

في الفترة الإسلامية الأولى، تم الحصول عليها من حفريات في شفطا ونيتسانا، حيث استمرت الكنائس المسيحية خدماتها الدينية حتى القرن الثامن. ولم تظهر المسوح الأثرية التي أجريت في شفطا ومحيطها أي دليل على التدمير والتخريب العنيفين، وإنما كانت نتيجة عملية تدريجية طويلة الأمد من التخلي عن المباني وانهيارها. وتبرز الأدلة على الهجرة بشكل تدريجي خاصتا في شفطا، حيث لم تسلب حجارة المباني، بل تم الاحتفاظ ببعضها مبنية كما كانت بارتفاعها الأصلي (الشكل 1).

عُثر على دليل إضافي لاستمرارية الاستيطان في شفطا، متمثلاً بالمسجد الذي تم بناؤه في الفترة الإسلامية المبكرة، وهو متاخم للكنيسة الجنوبية في المدينة (الشكل 2). ومن المثير للاهتمام أن بناء هذا المسجد المتواضع لم يضرّ بمبنى الكنيسة المجاور، وعلى ما يبدو أن المبنيين الدينيين كانا يعملان جنبًا إلى جنب خلال فترة الإسلامية الأولى. حوت جدران المسجد والأعمدة الداعمة للسقف على عدد كبير من النقوش العربية، ويعود تاريخ بعضها إلى القرنين الثامن والتاسع (الشكل 3). وتشير الكتابات إلى إلمام واسع باللغة العربية، ويتضمن بعضها صيغًا شبيهة بتلك الموجودة بمراكز السلطة الإسلامية في القدس ودمشق فقط.

زوّدت حفريات نيتسانا واسعة النطاق أدلة إضافية لاستمرار الاستيطان ما بين الفترات البيزنطية والإسلامية المبكرة. بناءً على تواريخ أرشيف البردي المكتَشف في الحفريات، حيث قرر الباحثون أن البناء المكثف في نيتسانا استمر حتى القرن الثامن. أظهرت إعادة فحص المكتشفات الفخارية في نيتسانا أن المستوطنة استمرت في الازدهار في القرنين التاسع والعاشر أيضًا، وهذا ما أكّدته أيضًا نتائج الحفريات الجديدة في الموقع.

يمكن الاستنتاج إذن، أن الاكتشافات الأثرية من مدن النقب تشير إلى استمرارية الاستيطان بالفترة الانتقالية من البيزنطية الى الإسلامية المبكرة. ولم نجد أي دليل على الاحتلال العنيف أو التدمير في هذه المدن فإن المباني العامة والمباني الخاصة، المكتشفات الفخارية وغيرها، تدلّ بوضوح على استمرار الاستيطان أثناء الانتقال من المسيحية إلى الإسلام.

ومع ذلك، يمكن تمييز نماذج مختلفة من استمرارية الاستيطان داخل المنطقة. بقيت عبدات وممشيت قائمتين حتى أواخر القرن السابع الميلادي، لكن يمكن ملاحظة تراجع بكميه البناء وجودته. حتى في رحوبوت النقب، استمرت البلدة الى بداية القرن الثامن، ولكن الطبقة العليا للمباني تتميّز بنوعية رديئة للبناء. أما في شفطا ونيتسانا بالمقابل، استمرت البلدة قائمة لمدة مائتي عام تقريبًا، حتى القرن التاسع أو العاشر. ويمكن تفسير هذه الاختلافات الإقليمية عن طريق القواعد الاقتصادية المغايرة للمدن في كلتا المنطقتين، أو من خلال التأثير المدمر

الشكل 2- صورة جوية، الكنيسة الجنوبية في شفطا والمسجد المجاور لها.

للزلازل، الذي ضرب البلدات في المناطق الشرقية لجبال النقب.

المستوطنات الزراعية والمواقع البدوية

أدى النشاط المكثف للمسح الأثري، والحفريات التي أجريت في نطاق «مسح الطوارئ في النقب»، إلى اكتشاف عشرات المواقع، التي نشأت في أواخر العصر البيزنطي أو بداية الفترة الإسلامية المبكرة وكشفت الحفريات في العديد من هذه المواقع عن تسلسل زمني مماثل: بنيت المستوطنات في أواخر العصر البيزنطي أو الإسلامي المبكر، وكانت قائمة طيلة 300 عام، وأُخليت بشكل منتظم دون أي دليل على الدمار في القرنين التاسع والعاشر الميلادي.

على سبيل المثال في وادي لعنة، تم حفر مستوطنة زراعية في الجزء الغربي من جبل النقب، مكونة من ستة مبانٍ مركزية، في قلب المناطق الزراعية الواسعة التي تغطيها المدرجات. يتألف المبنى الرئيسي من تسع غرف تحيط بفناء. وأضيفت غرف أخرى إلى المبنى خلال فترة وجوده، وتم في أحدها، تركيب محراب دائري باتجاه جنوب شرق، مما أدى إلى إنشاء مسجد منزلي صغير (الشكل 4). ويبدو وفقًا لتطور المبنى، أن تركيب المحراب قد جرى في مرحلة متأخرة، ربما في القرن الثامن الميلادي.

تدل المكتشفات الفخارية والنقدية عن قيام المبنى بكافة أقسامه ما بين القرن السابع والتاسع. كما وتم حفر مجمّع استيطاني آخر في وادي متان المجاور على سفح وادٍ واسع تحدّه المدرجات، وفي قلب منطقة زراعية متطورة. وتضمّن المجمّع أحد المباني الرئيسية الكبيرة على مساحة 33×15 م وشمل عدة غرف. وعثر في غرفة تم التنقيب فيها على كرة زجاجية، تحمل اسم عبد الملك يزيدت، الذي كان حاكم مصر ما بين سنوات 751-753. يشير هذا المكتشف الفخاري إلى وجود مستوطنة ما بين القرن السابع والتاسع، لكن يتعذر التحديد إذا كانت قد بنيت قبل الفتح الإسلامي أو بعده.

مستوطنة أخرى حفرت في الجزء العلوي من مجرى البسور، بالقرب من سديه بوكير. وهي تتألف من خمس مجموعات سكنية، التي بنيت على ضفة وادي أفيك، بمساحة ثماني دونمات. تشمل معظم المباني شبكة غرف مربعة أو مستطيلة، مبنية حول فناء مركزي. شملت التنقيبات قسمين من المباني السكانية الكبيرة إضافة الى مبنى صغير مجاور لهما. في إحدى غرف هذا المبنى كان هناك نصب حجري، ينتصب بشكل عامودي. تم تثبيت النصب بجانب الجدار المقابل لمدخل المبنى. يبدو أن هذه الغرفة كانت بمثابة ركن للعبادة الوثنية، كاستمرار لتقاليد عبادة الشواهد النبطية. أقيمت عدة منشآت زراعية بمحاذاة المباني، كزرائب الأغنام، مخازن الحبوب وآبار المياه.

عثر على العديد من الكتابات العربية على المنحدر المجاور للمستوطنة، ورد في أحدها اسم هشام بن عبد الملك. بجانب النقوش كان حائط منخفض ذات حنية متّجهة إلى الجنوب الشرقي. قد يكون مسجدًا مفتوحًا، لكن شكل الحائط ومقاييسه الصغيرة لا تؤكّد تمامًا بكونه مسجداً. وفقًا لنتائج التنقيب، يمكن حصر تاريخ وجوده إلى القرن السابع حتى التاسع (الشكل 5).

واحدة من أكبر المستوطنات في الفترة الإسلامية المبكرة في النقب تقع على مرتفع يطلّ على سهل تسين، المجاور لسديه بوكير. في هذا المكان، توجد ثمانون بناية مربعة ومستطيلة، منتشرة على المنحدرات ومحاذية لمجاري الوديان التي تنحدر إلى سهل تسين. أُنشأت على طول الوديان السدود الصغيرة التي تروي الأراضي المخصصة للزراعة. ربما استخدمت المنطقة السهلية الواسعة المتاخمة للموقع في الزراعة، ولكن لم يعثر على دليل واضح لذلك. أقيم مسجد مفتوح في أعلى أحد

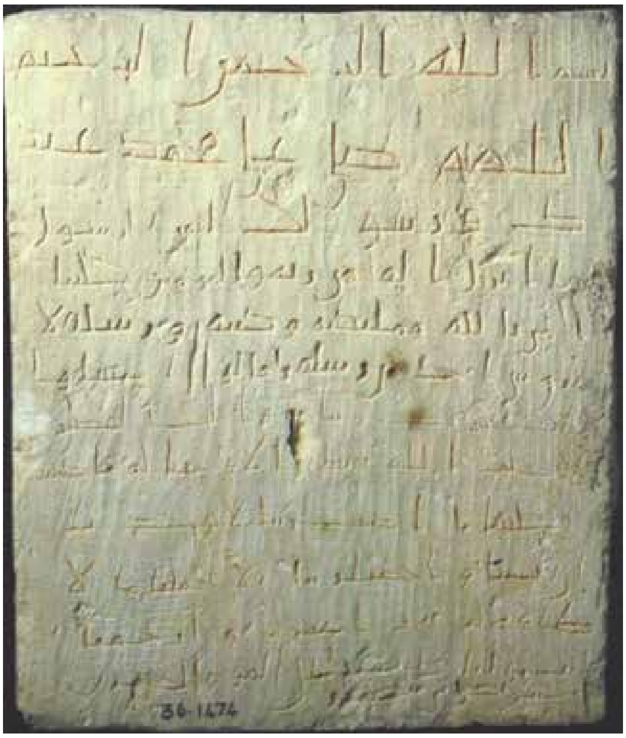

الشكل 3 – نقش رقمي من مسجد شفطا.

الشكل 4 - مسجد مفتوح من الفترة الإسلامية المبكرة بالقرب من جبل عوديد جنوب جرن الجنوب.

التلال المطلة على السهل، في قلب المستوطنة، ولكنه يبعد قليلا عن المباني (الشكل 6). يتألف المسجد من قاعة مستطيلة مقياسها 5 × 12 م، باتجاه الجنوب مع انحراف طفيف نحو الشرق. تم تثبيت حنية المحراب الدائرية بالحائط الجنوبي للقاعة. ويلاصق القاعة من الشمال فناء مربع. عُثر في المسجد على مئات النقوش العربية، ومعظمها أقدم من المسجد. تمّ تحديد زمن إقامة المسجد برُقمين مؤرّخين عثر عليهما تحت الجدران، يحملان تاريخ 165 للهجرة (781 – 782 م)، يمكن الاستنتاج من موقع النقوش أن المسجد بني بعد هذه السنة. ووفقًا للاكتشافات الفخارية في الموقع، فقد استخدم المسجد بين القرون السابع والتاسع للميلاد، عندما أقيم المسجد المفتوح في مرحلة لاحقة من المستوطنة.

من أبرز معالم هذا المسجد مئات النقوش العربية التي عثر عليها محفورة على المسطحات الصخرية في منحدرات وقمم التلال المحاذية للمستوطنة، خاصة في منطقة المسجد. تتميز بعض هذه النقوش بطابع ديني، وتعكس فعلياً مراحل الانتقال من الثقافة الوثنية السائدة بين المستوطنات البدوية في تلك المنطقة، إلى الإسلام. لم يعثر بعد على تفسير واضح لهذا الكم الكبير من النقوش، وقد يشير إلى وجود مكان للاجتماع الرئيسي في التلال المطلة على سهل تسين، وهو موقع تلتقي فيه القبائل البدوية في المنطقة من وقت لآخر، كما هو الحال في الاستيطان الحديث للبدو الرحل في النقب. من الممكن أن تشير أنظمة المسجد المفتوح في هذه النقطة إلى أهمية المكان في السابق، لكن لا ينبغي الاستنتاج من ذلك أن المباني السكنية كانت بمثابة مرافق للعبادة.

امتد الاستيطان الزراعي في جبال النقب في الفترات البيزنطية والإسلامية المبكرة جنوبًا إلى منطقة جرن رامون، ووادي لوتس. أقيمت جنوب هذا الخط مئات المستوطنات البدوية، وبقايا الخيام التي تعود أيضًا إلى نظام الاستيطان في تلك الفترة. يبدو أن المستوطنات البدوية أدمجت في المستوطنات الدائمة -المدن والمستوطنات الزراعية، ولكنها امتدت أيضًا إلى الجنوب، لأنها تعتمد أساسًا على رعاية الماشية والزراعة الموسمية، تمامًا مثل السكان البدو المعاصرين الذين عاشوا في النقب طوال مئات السنين الأخيرة، وحافظوا على طريقة حياتهم التقليدية.

كشف التوثيق الأثري لهذه المواقع البدوية بأن كثيرًا منها كان قائمًا في أواخر الفترة البيزنطية والإسلامية المبكرة. مستوطنتان بدويتان تقعان جنوب غرب جرن رامون، جرى مسحهما والتنقيب فيهما بشكل منهجي، وتبين من النتائج أنهما كانتا قائمتين ما بين القرن السادس والتاسع الميلادي، على غرار المجمعات الزراعية في شمال ووسط جبال النقب.

بُني موقع عوديد على منحدر الوادي المجاور لأفيك ويغطي مساحة تبلغ عشرة دونمات. عثر في الموقع على العديد من أساسات المباني والجدران الحجرية الدائرية والبيضوية، يصل ارتفاعها إلى متر واحد استُخدمت كقواعد للسقوف العليا المصنوعة من المواد الاستهلاكية كالأقمشة أو

الشكل 5 – سديه بوكير، المسجد.

الشجيرات. يوجد في وسط الموقع مبنى حجري مستطيل ضخم، يشبه شكله وطريقة بنائه تلك المباني الدائمة في المواقع من تلك الفترة في وسط جبال النقب. ووضعت بين المباني المحفورة في الأرض مرافق التخزين، جدرانها مرصوفة بالحجارة وبعض مرافق الطهي، التي تشير إلى النشاط المكثف الذي حدث في المناطق المفتوحة. بجوار أحد المباني السكنية الدائرية كان نصب حجري يبلغ ارتفاعه 0.8 مترًا وعرضه 0.6 مترًا، إضافة الى حجر أصغر وجد مطروح الى جانبه، أمامه مسطح او ارضية مرصوف بالحصى. يبدو أن هذا المرفق كان بمثابة ركن للعبادة المحلية لسكان البلدة كما وعثر على ركن عبادة صغير آخر على منحدر الوادي فوق منطقة المباني، يحتوي على ثلاثة أحجار منتصبة بشك عامودي، وباتجاه منحدر التل القريب. يبدو أن زوايا العبادة هذه مرتبطة بتقليد شواهد القبور النبطية، التي استمرت بين قبائل النقب والعرب حتى في العصر البيزنطي.

بجوار المستوطنة تم الكشف عن مقبرة صغيرة تحتوي قبور بسيطة محفورة في الأرض، اتجاهها شرق غرب. عُثر في بعضها على هياكل عظمية مُسجاه على جانبها ووجهها نحو القِبلة، وفقًا لوضعية الدفن الإسلامية التقليدية (الوجه نحو مكة).

بُني مسجد مفتوح باتجاه الجنوب على مرتفع عال، يبعد نحو 300 م. جنوب غرب الموقع، وخلافًا للمساجد المفتوحة الأخرى في النقب، لم يشمل هذا المسجد محراب، وقد ثبّت على جداره الجنوبي، مقابل الباب، حجر كبير منتصب وإلى جانبه حجران صغيران. يتجه المسجد نفسه إلى الجنوب/ القِبلة بانحراف طفيف نحو الشرق، ويشير أيضًا إلى قمة جبل عريف، الجبل الأبرز في المنطقة.

يبدو أن هذا المبنى يدمج الأسس القديمة لعبادة شواهد القبور النبطية، ولكنه يتجه نحو مكة المكرمة، المدينة المقدسة الإسلامية، ولذا فهو يعبّر عن مرحلة الانتقال ما بين الطقس الوثني لعبادة الشواهد والمسجد الإسلامي القديم المفتوح.

اكتشف موقع بدوي آخر شرق هذا المكان، وأجريت فيه تنقيبات. يحتوي هذا الموقع على 16 مبنى دائريًا وبيضاويًا من جدران منخفضة (ارتفاعها حتى 0.5 م.)، وأقيمت كلها بصفّين من حجارة حقلية، تم محشوّ ما بينها بحجارة وحصى صغيرة. تم الكشف بالقرب من المباني، بقايا قليلة من خيمة، كما يُستدل من بقايا الفخار ومخلفات المواقد، ومنشآت حجرية صغيرة، وعلى مرتفع بجوار الموقع أقيم مسجد مفتوح باتجاه الجنوب.

وفقًا للاكتشافات الفخارية، بالإضافة لبعض العملات التي عثر عليها في المواقع، وعيّنات الكربون 14 المأخوذة من طبقات الرماد المتاخمة للمباني، يستدل أن مواقع وادي عوديد وجبل عوديد كانا قائمين ما بين القرن السادس والتاسع الميلادي. كانت تلك مواقع للبدو الرحل الذين استخدموها في بعض فصول السنة (يبدو الربيع والشتاء) أثناء ترحالهم السنوي. ولم يعثر على أي علاقة بين وجود هذه المواقع والفتح الإسلامي للنقب خلال القرن السابع الميلادي.

اكتشاف المساجد في النقب أبرز اهمية المنطقة ومكانتها في عمليات التغيير الثقافي والديني في جنوب البلاد. ومما لا شك فيه انه كانت هناك عملية واضحة، في الانتقال من الكنائس إلى المساجد في النقب، وكذلك من ثقافة النصُب التذكارية النبطية والبيزنطية إلى المساجد المفتوحة في أوائل العصر الإسلامي. ويستدل من المكتشفات الأثرية، أن عمليات التغيير في النقب كانت محلية، كنتيجة ثانوية للعمليات الجيوسياسية، التي حدثت في قلب المنطقة الصحراوية. استمرت عمليات التغيير في النقب على مدى فترة زمنية طويلة نسبيًا ولم تعكس حدثًا سياسيًا او دينيًا واحداً، مما تسبب بتغييرات في الثقافة المادية.

من المكونات الأخرى لنظام الاستيطان في الفترة الإسلامية المبكرة في النقب، هي المستوطنات التي أقيمت خلال هذه الفترة على طول وادي عرابا: في منطقة حاتسيفا، عين ياهف، وخاصة في العرابا الجنوبية، حيث كانت المستوطنات جزءًا من الظهير الزراعي لمدينة أيالا (العقبة).

اكتشفت خمس مستوطنات تعود إلى العصر الإسلامي المبكر، وقد أجريت مسوح اثرية في شمال العرابا ومستوطنة واحدة في وادي شاحك، حيث أجريت الحفريات. تألفت هذه المستوطنة من عشرة مبانٍ مستطيلة، مبنية بالأساس من حجارة حقلية فوقها بناء من الطوب، وهي طريقة بناء مختلفة تمامًا عن تلك السائدة في جبال النقب. وجد في المستوطنة ادوات فخارية، عملات، أدوات معدنية، حجرية وخشبية، كذلك عثر على بقايا نسيج وحبال مجدولة. من بين

الشكل 6 - بناء مسجد مفتوح على رأس التلة.

المكتشفات المهمة، ختم من الطين طبعت عليه كتابة عربية تحمل اسم «يزيد». وفقًا للمكتشَف، يعود استخدام الموقع إلى القرن الثامن حتى العاشر الميلادي، ويبدو أن سكانه عملوا في الاراضي زراعية بالقرب من عين حاتسيفا.

تم العثور على عدد كبير نسبيًا من البلدات من تلك الفترة جنوب العرابا. وفي بعض المواقع، أجريت عمليات تنقيب، واكتشفت فيها دلائل على نشاط زراعي أو صناعي - التنقيب عن النحاس والذهب المتعلق كما يبدو بمدينة أيالا (العقبة).

اكتشفت ست بلدات شمال إيلات، وتم التنقيب في واحدة منها. عُثر في الموقع بضع عشرات من المباني المستديرة والبيضاوية، مرتبة في عدة تجمعات. تم حفر أربعة مبانٍ، كل واحد منها يتألف من غرفة واحدة حتى ثلاثة غرف اتجاهها شرق غرب ذات فناء مشترك. وعثر بين المباني على مرافق التخزين ومواقد الطبخ. ووفقا للمكتشفات فقد اشتغل السكان المحليون في الزراعة، وزودوا مدينة أيالا بمنتجاتهم. كما وعثر في أماكن أخرى في العرابا الجنوبية، على عدد من المزارع الكبيرة بالقرب من شبكات الري تحت الأرض (قنوات). تم حفر أجزاء من هذه المزارع في يوطفتا وعين عفرونا، وتبيّن في الحفريات أنها تنتمي إلى ذات الشبكة الاستيطانية، التي تعتمد على مدينة أيالا.

تختلف مستوطنات العرابا الجنوبية جذريًا عن مستوطنات النقب من تلك الفترة. يدل شكل المباني السكنية وطرق البناء وموقعها داخل المستوطنة على تأثيرات خارجية، وربما على سكان جدد، قدموا إلى المنطقة من وسط شبه الجزيرة العربية. وتعتمد الطرق الزراعية ومرافق نقل المياه في هذه المستوطنات في الغالب على جمع المياه الجوفية، عبر أنفاق طويلة تحت الأرض (قنوات)، والتي يمكن التعرف عليها بالفوّهات العمودية المثبتة في مسافات منتظمة. هذه الطريقة، التي نشأت في إيران، معروفة أيضًا في وادي الأردن، شمال أريحا، بمستوطنات بُنيت في الفترة الإسلامية المبكرة.

لذلك، ينبغي اعتبار نظام الاستيطان في العرابا نظامًا جديدًا لا يرتبط بالفترة البيزنطية. هذا خلافًا لجبال النقب، حيث تظهر عناصر عديدة في المستوطنات، والتي تشكّل تواصلًا بينها وبين مستوطنات الفترة البيزنطية، واستمرارية واضحة بين الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة.

أدّت الدراسة المكثفة لمواقع النقب والعرافا إلى تطوير طريقتين متوازيتين لفهم مراحل الاستيطان في النقب أثناء الفترة الإسلامية المبكرة – الطريقة الرسمية والطريقة الإقليمية.

النهج الرسمي المتمثل بالتدخل المكثفة والكبير للسلطة المركزية في النقب. كان ازدهار المستوطنات الزراعية في الفترة الإسلامية المبكرة نتاج سياسة مقصودة للسلطة المركزية. وبالمقابل، ينبغي النظر إلى التغلغل الإسلامي في النقب، كجزء من العملية الرسمية التي تقودها الحكومة المركزية، ويظهر ذلك في العدد الكبير للمساجد المفتوحة، التي بنيت في جميع أنحاء جبال النقب والعرافا.

النقص الواضح لهذا التفسير هو عدم وجود دليل على أنشطة مماثلة للسلطة الأموية في مناطق أخرى من المملكة، وحقيقة أن النقب كان أحد أكثر المناطق نأيًا وأقل أهمية بالنسبة للسلطات الأموية، لذلك يتعذر شرح الدوافع لاستثمار الموارد الرسمية هنا.

يظهر النهج الإقليمي ازدهار النظام الاستيطاني في مراحله المحلية داخل المنطقة، المتعلقة بشبكة الاتصالات المعقدة بين البدو والسكان الدائمين في الأراضي المقدسة. أدى التراجع العام للمستوطنات الكبيرة في النقب، والتغيير في قاعدتها الاقتصادية، إلى تدهور علاقاتها المتبادلة مع القبائل البدوية في محيط هذه المستوطنات. مما تسبب بتوقف التبادل التجاري النشط، بين سكان المدن والبدو الرحل، المحيطين بهذه المدن (مثل منتجات اللحوم، الجلود وغيرها)، وتغيير السكان البدو لأساس معيشتهم وانتقالهم إلى الاستيطان الزراعي من أجل الاستمرار في الوجود في المناطق النائية في النقب. وهكذا نشأت شبكة الاستيطان الزراعي في النواحي الغربية والجنوبية لجبال النقب، مع انتقال بعض البدو الرُحّل إلى الحياة الزراعية، والجزء الآخر يجمع بين الزراعة والرعي لضمان سبل عيشهم.

وفقًا لهذا التوجه، فإن النقب، كمنطقة نائية عن التطورات الجيوسياسية في هذا الشرق، لم يتأثر بشكل مباشر بالتطورات السياسية الرئيسية التي مرّت بالشرق الأوسط خلال هذه الفترة، وبالتالي ينبغي اعتبار كل التطورات المحلية والثقافية التي كانت سائدة فيه على الصعيد المحلي وغير الرسمي. أدت التغيرات التي طرأت على التوازن الاقتصادي للمجتمعات الكبيرة، إلى تطور الاستيطان البدوي والانتقال إلى الزراعة في جبال النقب والعرافا أثناء الفترة الإسلامية المبكرة.

الفتح الإسلامي وتأثيره على نموذج البلدة

إلى أي مدى تأثر النقب بالتغيرات الجيوسياسية الكبرى التي مرّت بالشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي؟ إضافة إلى ما أفادنا به المكتشَف الأثري، المذكور أعلاه، فإننا نملك عدة أوصاف تاريخية قصيرة ومتقطعة، تتعلق بالنقب في هذه الفترة، وبموضوع الاحتلال لجنوب البلاد، على يد القبائل العربية عام 634 ميلادي. بطبيعة الحال، يتركز النقاش في مناطق شمال غرب النقب، وحتى قطاع غزة، وفي جبال النقب، حيث جرى استيطان واسع وكثيف في أواخر الفترة البيزنطية. ويظهر الدليل على قوة المستوطنة البيزنطية في هذا الجزء من الاراضي المقدسة، واضحًا في المصادر الأدبية والمكتشفات الأثرية الغنية. كان الاستيطان في الشمال الغربي للنقب وفي جبال النقب معتمدًا بمعظمه على الزراعة وصناعة النبيذ، وتصديره إلى خارج المنطقة.

إن مسألة وجود قوافل التجارة الدولية في الفترة البيزنطية المتأخرة، التي اجتازت النقب في طريقها إلى موانئ غزة وعسقلان، هي موضوع نقاش بين الباحثين. وتشير الدلائل الأثرية من النقب إلى أن طرق القوافل والطرق العسكرية المستخدمة في الفترتين النبطية والرومانية لم تعد متّبعة في أواخر القرن الخامس الميلادي كأقصى حدّ، وكانت التجارة البيزنطية ذات طابع محلي فقط، وفي مسح للمنطقة على امتداد الدرب

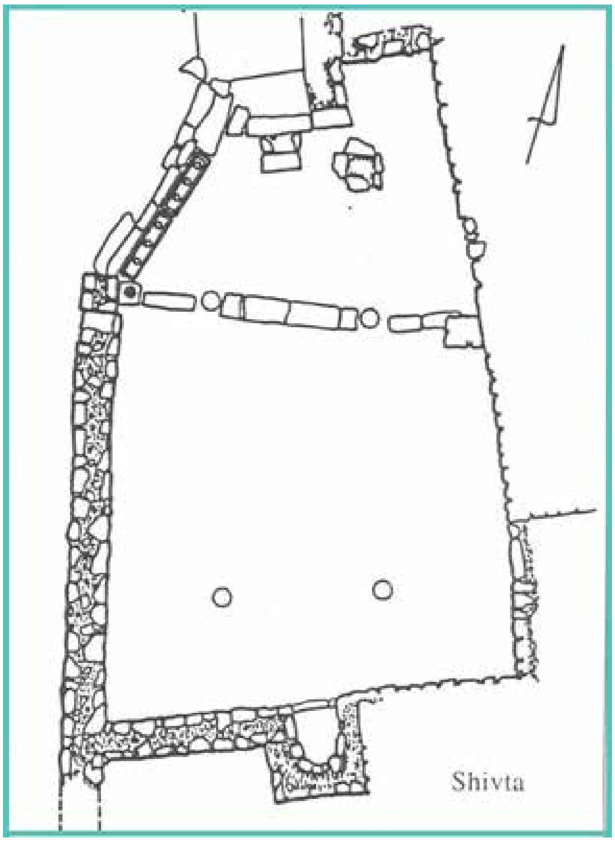

الشكل 7 - خارطة المسجد في شفطا.

الشكل 8- المسجد في شفطا، محراب الصلاة في مسجد شفطا.

الشكل 9 - مسجد بني بالقرب من الكنيسة الجنوبية في شفطا.

الغزّية، وهي الطريق الرئيسي الذي يربط غزة بإيلات، وتمر في الأطراف الغربية لجبال النقب، لم يُعثر على دلائل هامة للنشاط التجاري عشية الفتح الإسلامي. فإن الطرقات في النقب، بما في ذلك الدرب الغزّية، استخدمتها، بشكل رئيسي قوافل الحجاج في طريقها من الاراضي المقدسة إلى جبل سيناء. ويمكن العثور على أدلة لذلك في برديّات 89 من نيتسانا، التي توضح تفاصيل مصروفات القافلة في طريقها من النقب إلى سيناء ذهابًا وإيابًا. كما لم يعثر في الدراسة التي أجريت في العرابا، على أدلة لوجود طرق تجارية رئيسية في أواخر الفترة البيزنطية وبداية الفترة الإسلامية، ويبدو أن الاستيطان في هذا الجزء من النقب تضمّن بشكل رئيسي السكان البدو الذين عاشوا على دمج الزراعة بالمراعي.

كما أن قضية وجود التجارة الدولية من الجزيرة العربية إلى شواطئ البحر المتوسط عشية الفتح الإسلامي، كانت في السنوات الأخيرة مدار نقاش ساخن بين الباحثين الذين يدرسون بداية الإسلام. وأعربت الباحثة في الشؤون الإسلامية باتريشيا كرون، في كتابها «التجارة المكية ونمو الإسلام»، عن انتقاد لاذع لوجهة النظر التقليدية، التي تعتبر أن التجارة، الواسعة النطاق بين القبائل العربية، هي أحد العوامل التي أثّرت على بداية الفتوحات العربية. ففي رأيها، لا تتوفر أدلّة حقيقية على وجود مثل هذه التجارة، وأن تجارة العطور من جنوب الجزيرة العربية في هذه الفترة قد بدأت بالتراجع، ولم تصل إلى شواطئ البحر المتوسط. يبدو أن المكتشفات الأثرية من النقب تعزّز وجهة النظر هذه. ومن غير المرجح أن تكون هناك طرق تجارية دولية في هذه الفترة، قد تخطّت النقب كمنطقة للتنقل بين الجزيرة العربية وساحل البحر المتوسط، وأن القوافل اجتازت عبر الأردن أو سوريا. إن النقب هو أكثر الطرق استقامة وأقصرها لقوافل الإبل في طريقها إلى ساحل البحر المتوسط ، وما الجدوى من توجيه التجارة إلى طرق التفافية طويلة وأكثر تعقيدًا إلى الموانئ المقصودة للبضائع؟ لذلك، يبدو أن الجمع بين أدلة المصادر التاريخية والمكتشفات الأثرية، يستبعد احتمال مرور تجارة دولية واسعة النطاق عبر النقب في أواخر الفترة البيزنطية.

وبذات السياق، فإن الدلائل على التوغل المكثّف للقبائل العربية أو القوات العسكرية، التي اجتاحت النقب فجأة عام 634 م، في طريقها للاحتلال السريع الأرضي المقدسة وسوريا، لا تتوافق مع المكتشف الأثري. كما ذكر تفصيلا المسح الأثري، ولم يظهر في أي من مواقع النقب دليل على احتلالها العنيف وتدميرها خلال هذه الفترة. بل على العكس، ثمّة دليل في هذه السنوات بالتحديد على استمرار بناء الكنائس في مدن النقب، وكذا هو الحال في عبر الأردن. وتذكر عدة مصادر توغل القوات الإسلامية لمنطقة غزة في عام 633 أو 634. وتشير إلى المعركة التي جرت في دثّين، بالقرب من غزة، كما يبدو في 4 فبراير 634، حيث دحرت القوة البيزنطية، برئاسة باتريكيوس سرجيوس، الجيش الإسلامي الذي نصب لها فخًا.

أي الطرق استخدمتها القبائل العربية لفتح جنوب فلسطين؟ اقترح مايرسون ثلاث مسارات محتملة لطرق القبائل العربية أثناء غزوها للأرضي المقدسة، بما في ذلك الطريق الرئيسي من إيلات إلى غزة. لكنه

خَلُص إلى أن هذا الطريق كان طريقاً رئيسي، والفاتحون العرب فضّلوا استخدام الطرق الصحراوية الفرعية، التي أدّت من جبال النقب أو سيناء إلى ساحل البحر المتوسط ، وكانوا يستعينون بمرشدي الطرق المحليين. ولكن كما ذكرنا، لم يُعثر على أي أدلة أثرية يمكن أن تشير إلى تخريب أو تدمير مستوطنات النقب وسيناء. ووفقًا لرأي آخر، فقد وصلت قوات عمرو بن العاص إلى منطقة غزة بمرورها عبر العرابا نحو الشمال، ومن منطقة البحر الميت نحو البحر المتوسط، بينما أعاثّ الجيش خراباً بالمستوطنات ومصادر المياه، حتى أن المكتشفات الأثرية لا تدعم هذا المسار ايضاً.

كذلك في المناطق النائية المحاذية للأراضي المقدسة، لم يُعثر على أي دليل في الاكتشافات الأثرية على ذلك. وتشير المسوحات والتنقيبات واسعة النطاق، التي أجريت في جنوب سوريا وعبر الأردن، إلى استمرار الاستيطان ما بين القرن السادس والعاشر الميلادي، مع تغير بوتيرة بطيئة للسكان والمستوطنات. ويشبه النموذج الاستيطاني المعروض لهذه المناطق تلك التي في النقب: بلدات كبيرة ومجتمعات زراعية واسعة، التي تحتوي على مجموعة حقول زراعية، وسكان بدو رُحّل، يسكنون في أطراف البلدات الدائمة. استمر هذا النهج الاستيطاني بشكل متواصل من الفترة البيزنطية إلى الفترة الإسلامية المبكرة، مع استمرار واضح للمستوطنات والسكان المسيحيين في المنطقة. كما في النقب، كذلك في جنوب سوريا وعبر الأردن، لم يعثر على أي دليل لوجود تجارة واسعة النطاق، في أواخر الفترة البيزنطية، أو أي تدمير عنيف ترافق مع الفتح الاسلامي.

لذلك يبدو أنه من الممكن إعادة بناء المناطق النائية في النقب، عبر الأردن وجنوب سوريا كنموذج للاستقرار الاستيطاني، من خلال عمليات التغيير البطيئة والطويلة الامد، التي حدثت ما بين القرن السادس والتاسع الميلادي، واستمرت عملية الاستيطان في الحقبة البيزنطية في النقب حتى في الفترة الإسلامية المبكرة، ولم يكن للفتح الإسلامي أي تأثير فوري عليه. يبدو أن النقب لم يكن منطقة مهمة خلال الفتوحات العربية، وظل منطقة على أطراف البلاد. بدأت عملية التدهور والتخلي عن المستوطنات الكبيرة بعد الفتح الإسلامي فقط، وامتد فترة طويلة. هذا خلافا للآراء السابقة لمراحل التدهور وأفول الاستيطان في القرن السادس الميلادي، وتربطها بعمليات عسكرية بين الإمبراطورية البيزنطية والمملكة الساسانية، وكذلك لتأثير الكوارث الطبيعية والأوبئة. يبدو أن تأثير هذه المكونات على البلدات في النقب كان هامشيًا.

يمكن تفسير ازدهار المستوطنات الزراعية والبدوية في جبال النقب، ما بين القرن السادس والتاسع بالعمليات المحلية، لتقويض العلاقة المتبادلة بين البدو الرحّل والسكان الدائمين. ونتيجة لذلك اضطر البدو الذين استوطنوا في أطراف جبال النقب الجنوبية والغربية، تحويل فروع الاقتصاد التقليدية إلى زراعية، والانتقال للاستيطان بمحاذاة المدن. وقد لوحظت عملية مماثلة في القرن الماضي حيال القبائل البدوية التي عاشت في شمال النقب وصحراء يهودا، وانتقلت للاستيطان الدائم بسبب زعزعة قواعد حياتها الاقتصادية التقليدية، والحافز الاقتصادي للسكن بالقرب من المدن الكبرى.

في مستوطنات جنوب العرابا، تنكشف عملية مغايرة جذريًا عن مستوطنات جبال النقب. والدليل على ذلك نجده في طبيعة البناء المختلفة في المستوطنات، وإدخال طرق الري غير المعروفة سابقًا في المنطقة-سلسلة الآبار أو القنوات، وحقيقة أن ازدهار المستوطنات في هذه المنطقة، ما بين القرن السابع التاسع الميلادي يرتبط بظهور الاستيطان المدني في إيلاه، وكونها مدينة عبور مركزية في جنوب فلسطين في الفترة الإسلامية المبكرة.

ثمة صدى للمكتشفات الأثرية في النقب لعملية التغيير الديني، التي اجتازها سكان المنطقة في الفترة الإسلامية المبكرة. وإن الهوية الدينية لسكان النقب في الفترة البيزنطية معروفة، خاصة بعدد كبير من الكنائس والأديرة، التي بنيت في تخوم المستوطنات الكبيرة من جبال النقب. وبنيت في كل مدينة بين ثلاث إلى خمس كنائس رئيسية، التي كانت عاملا رئيسيًا في المشهد البلدي. في المستوطنات القروية والبدوية في الأرياف، لم يكد يعثر على مبانٍ ذات طابع مسيحي، بل استمرت هناك العبادة الوثنية من الفترة النبطية. أقيم خلال الفترة الإسلامية المبكرة، عدد من المساجد المتواضعة في مستوطنات النقب، مما يشير إلى عملية التحول والتغيير الديني للسكان. وقد أقيمت هذه المساجد في المناطق المركزية، مثل المسجد في شفطا (الأشكال 7-8)، وفي مواقع الريف الزراعية والبدوية. تم بناء جميع هذه المساجد بعد منتصف القرن الثامن الميلادي، وأبرز دليل على ذلك هو المسجد المفتوح في سديه بوكير، الذي تم تثبيته على صخرة مع نقوش يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الثامن، ومن ثم فإن بناء المسجد ونقوشه جاءت في وقت متأخر.

لذلك يبدو أن عملية التحوّل الديني التي مرّبها سكان النقب كانت طويلة وبطيئة، وشملت توغّلا بطيئًا للمساجد مع مواصلة العبادة المسيحية في الكنائس لفترة طويلة (في شفطا ونيتسانا على الأقل). ثمة دليل واضح في شفطا على التعايش بين الكنيسة الجنوبية والمسجد المتواضع الذي بُني بالقرب منها (الشكل 9). إن العلاقة ما بين المبنيين -الكنيسة الأثرية من جهة، التي تهيمن على المشهد المدني في جنوب المدينة، ومن ناحية أخرى المسجد المتواضع الذي بُني بجانبها – يدلّ على المكانة الراسخة

للمسيحية إزاء الإسلام في شفطا، والتغلغل البطيء للديانة الجديدة وطقوس عباداتها.

كما أن عملية الانتقال والتغيير المماثلة تظهر في المستوطنات الزراعية والمواقع البدوية. ودليل على ذلك هو المسجد المفتوح الذي أقيم بجوار موقع ناحال عوديد، والذي يحتوي على نصب حجري باتجاه الجنوب الشرقي بدلا من حنية المحراب-القبلة. يبدو أن هذا المبنى يرمز جيدًا إلى مرحلة انتقال البدو في عبادتهم في جبال النقب، من عبادة النُصب ذات الأسس النبطية إلى المسجد المفتوح في الفترة الإسلامية المبكرة. كما هو الحال في المدن، كذلك الأمر في البلدات الصغيرة، كان التحول بطيئًا وتدريجيًا، واستمر قرابة قرنين من الزمن. توجد أدلة لاستمرار طقوس النصب في مواقع عديدة، بما فيها ناحال عوديد - نصب بين المباني داخل المستوطنة، وناحال هبسور - نصب داخل أحد المباني السكنية. ينبغي إبداء الرأي في هذا السياق، والإجابة عن السؤال، إذا كان التغيير في شكل العبادة يعبّر فعلا عن التغيير الثقافي والديني العميق. بالنسبة لمعظم سكان النقب، يبدو أن هذا مجرد تغيير خارجي، نوع من الموضة الجديدة، وليس تغييرًا دينيًا جذريًا. الانتقال من عبادة النصب إلى المساجد المفتوحة لا يشكّل سوى اعتماد إطار جديد للمعتقدات الوثنية القديمة. يمكن العثور على صدى هذا في المساجد الحديثة المفتوحة، التي تستخدمها القبائل البدوية في الشرق الأوسط في أيامنا. في بعض الأحيان، نجد في هذه المساجد نصبًا حجريًا في وسط حنية المحراب ويشير إلى القِبلة.

الخلاصة

تزوّدنا الأبحاث للمكتشفات الأثرية الغنية في النقب، بصورة شاملة لاستمرار الاستيطان في الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة، مع التمييز بين المستوطنات الدائمة الكبيرة في النقب ومحيطها المباشر وبين المناطق الهامشية حيث أقيمت مستوطنات بدوية بشكل رئيسي.

أبرز ظاهرة في الاكتشافات الأثرية هي عدم وجود أي دليل على احتلال عنيف للنقب في ثلاثينات القرن السابع الميلادي. ولم يعثر في أي من المواقع الكثيرة التي تم التنقيب فيها على أدلة للتخريب أو التدمير العنيف للبلدات في هذه الفترة. بل ظهرت دلائل على التدمير النابع من نزوح التدريجي من المستوطنات الكبرى في شرق جبال النقب، خاصة عبدات وممشيت التي كانت نتيجة زلزال، وليس نتيجة للاحتلال العنيف. ظاهرة مماثلة تم رصدها في عبر الأردن وشمال الجزيرة العربية وجنوب سوريا، لم يعثر على أدلة أثرية على الاحتلال العنيف نتيجة للاحتلال الإسلامي. وعلى سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى عدد كبير من المواقع في عبر الأردن، التي شهدت حركة نشطة في البناء، وهو ما ينعكس على توسع المستوطنات وإنشاء كنائس جديدة في مطلع القرن السابع.

يبدو أن نموذج الاستيطان وتعزيزه استمر في النقب، وفي المناطق المحيطة، في الفترة البيزنطية طوال القرن السابع الميلادي. وفي هذه الفترة نلاحظ عملية تغيير بطيئة ومنتظمة، التي استمرت حتى القرن التاسع، وأظهرت بوضوح التراجع التدريجي في المكانة الاقتصادية للمدن، وهذا ما أدى إلى تغيير في أسس معيشة المستوطنات الزراعية والبدوية المجاورة لها. تسببت هذه التغييرات بالتراجع التدريجي في الاستيطان، وعاد ليتعاظم في القرنين الثامن والتاسع، وأسفر عن التخلي النهائي عن مجمعات النقب فقط في القرن العاشر.

يمكن ملاحظة عملية التغيير التدريجي في الأطر الدينية لسكان النقب. لا زالت الكنائس قائمة، مع تغلغل بطيء في ممارسات العبادة المحدودة في القرن الثامن الميلادي، وفي المستوطنات الريفية والبدوية، يمكن العثور على صلة مباشرة بين عبادة النُصب القديمة والعبادة في المساجد المفتوحة. يبدو أن تأثير المسيحية كان طفيفًا جدًا في هذه المناطق، ولذا فإن التغيير الديني يتجلّى فقط في الخصائص الخارجية للعبادة وليس في العملية الأيديولوجية العميقة.

إلى أي مدى يمكن أن ينعكس المكتشف الأثري الغني في النقب، على العمليات الاستيطانية الدينية الدرامية، التي شهدها الشرق الأوسط، مع صعود الإسلام؟ يبدو من الضروري التطرق مع بعض التحفظ، إلى التفسيرات الدينية البعيدة المدى، التي عرضها عدد من العلماء حول ظاهرة مساجد العبادة وخصائص الطقوس الأخرى لمواقع النقب. لا يمكن للمكتشفات الأثرية الغنية إخفاء حقيقة أن هذه منطقة هامشية في النظام الجيوسياسي للشرق الأوسط ما بين القرن السابع والتاسع. ورغم الازدهار الاستيطاني كان النقب منطقة نائية عن المحاور الحاسمة المركزية في عملية تغلغل الإسلام في الأراضي المقدسة وسوريا. لذا ينبغي اعتبار المكتشف الأثري وتفسيره في السياق المحلي للسكان الذين عاشوا في هذه المنطقة الهامشية، وعمليات التغييرات الاستيطانية والدينية في هذا السياق، وألا يُنظر إليها كعامل مؤثر على عمليات التغيير السياسية والثقافية العامة، التي اجتازها الشرق الأوسط في هذه الفترة المضطربة. ومع ذلك، من الصعب التقليل من شأن البحث الأثري المفصّل الذي أجري في النقب. رغم أن المعلومات التي تم الحصول عليها من هذه الدراسة تمثل التاريخ المحلي فقط، بيد أن عمليات التغيير الاستيطانية والثقافية والدينية التي مرت بالنقب خلال الفترة الإسلامية المبكرة يمكن أن تشكّل مثالًا لعمليات مماثلة في مناطق نائية أخرى في الشرق الأوسط. والدراسات الإقليمية المفصلة التي أجريت في السنوات الأخيرة في النقب، ألقت ضوءً جديدًا على مدى تعقيد وتنوع التغييرات الدراماتيكية التي شهدها الشرق الأوسط خلال هذه الفترة الصاخبة.

خربة ام طوبا في اعقاب البحث الاثري (المسوح والحفريات)

زبير عدوي – سلطة الآثار

تقع الخربة في مركز قرية ام طوبا بمحاذاة قرية صور باهر على مشارف صحراء القدس (650 م فوق سطح البحر)، حيث تبعد حوالي 5 كم جنوبي مدينة القدس وحوالي 4 كم شمال شرق مدينة بيت لحم (الشكل 1). تجاور الخربة الطريق الروماني الذي كان يربط بين مدينتي القدس وبيت جبرين (اليثروبوليس) مرورا ببيت لحم.

تفتقر الخربة الى مصادر المياه الدائمة لذلك اعتمدت على مياه الجمع في الأبار والصهاريج المحفورة في الصخر والتي وجدت بشكل كثيف في ارجاء الخربة.

تحيط الخربة العديد من المواقع الأثرية مثل: معاصر العنب، العزب الزراعية، الكنائس والأديرة، يعود معظمها الى العصر البيزنطي (القرن الرابع حتى السابع الميلادي). من أهم هذه الخرب: خربة أبو غنيم، خربة بير القط، خربة لوقا، خربة مزمورية، خربة دير العامود، خربة ام العصافير وغيرها.

زار هذه الخرب الرحالة وعالم الآثار الفرنسي فكتور جرين عام 1863، شاهد خلال زيارته بقايا مبانٍ قديمة، آبار مياه، قبور منحوتة في الصخر، كما وأشار الى جرن حجري كبير على شكل صليب0، وجد بجانب احدى المغاور التي تحتوي على مصلى قديم واستخدم كمعموديه. يطلق اهل القرية على هذه المغارة «كنيسة المعمودية»، حيث تنسب الها مسكن

الشكل 1 - خريطة موقع خربة ام طوبا.

ومكان دفن القديسة مريم الطوباوية زوجة السيد حلفي وام القديس «يعقوب الصغير» أحد رسل السيد المسيح.

زار خربة ام طوبا كوندر وكشتنر (Conder and Kitchener) باحثا صندوق اكتشاف فلسطين، وأشارا الى وجود مقام للنبي طوبا فيها، الا ان هذا المقام غير معروف حاليا في القرية او في نواحيها.

في النصف الثاني من القرن العشرين تم توثيق معظم معالم خربة ام طوبا ضمن المسح الأثري المنهجي لمدينة القدس وضواحيها. من أبرز هذه المعالم آبار المياه المنحوتة بالصخر، حجارة البناء المستخدمة في مباني واسوار القرية، أعمده، مغاور عديده استخدم بعضها كمدافن وبعضها كمخازن تحت البيوت.

نسب بعض الباحثين خربة ام طوبا لبلدة «متوبا» (Metopa)، المذكورة في المصادر التاريخية البيزنطية (القرن الرابع حتى السابع الميلادي) التي تناولت حركة الديارات في صحراء فلسطين. حيث أشار الراهب كيريليوس (القرن السادس الميلادي)، من سكيتوبوليس (بيسان)، ان الراهب ثيودوسيوس (ابن عبيد) حضر الى ام طوبا «متوبا»، ودرس أحوال رهبان الصحراء عند راهبين أخوين هما: مارينوس (Marinus) ولوكا (Lucas) الملقب «رجل متوبا، هما في الأصل من تلاميذ الاب الراهب افتيميوس (Avtimius) والذي أسس ديرين في منطقة متوبا (ام طوبا).

نسب فكتور جيرين الدير الذي بناه القديس مارينوس الى البقايا الأثرية التي وجدت في «مغارة المعمودية»، اما الأب الايطالي فرجليو كوربوا فقد نسب الديرين الى المواقع القريبة من ام طوبا: خربة أبو غنيم وخربة لوقا.

كذلك نسب باحثو صندوق اكتشاف فلسطين (PEF) «متوبا» البيزنطية الى «نطوفا» التوراتية، كواحدة من قرى مسافر القدس الواقعة على حدود صحراء النقب. اعتمادا على ما روي في سفر صموئيل الثاني من اسفار العهد القديم انها مسقط رأس اثنين من ابطال الملك داوود، يعزز

الشكل 2 - ام طوبا، البقايا المعمارية المكتشفة في الحفرية الأولى.

الشكل 3 - ام طوبا، تاج عامود كورنثي.

هذا الاعتقاد هو ظهور البقايا الإثارية التي تعود الى العصر الحديدي المتأخر المنتشر في معظم الموقع التي حفرت في الخربة.

خربة ام طوبا اليوم

تغطي بيوت قرية ام طوبا الحالية معظم أجزاء الخربة. الا انه من الممكن تتبع اثارها بين البيوت حيث تم توثيق الكثير منها في مسح أثرى جديد اجري مع أكثر من عشرة حفريات تم معظمها على يد كاتب هذه المقالة برعاية سلطة الآثار وأبرزها:

1. أربعة ابار مياه محفورة بالصخر.
2. عشرات السلاسل الزراعية المزروعة بأشجار الزيتون واللوز.
3. معصرة زيتون صغيرة منحوتة بالصخر.
4. افران لاستخراج الشيد.
5. بقايا مغاور طبيعية بعضها استخدمت كمدافن وتعود للعصرين الروماني والبيزنطي.
6. سبعة مغاور استخدمت لتربية الحمام «كولومباريوم»
7. مبان ذات عقود واقواس مبنية وفق الطراز المحلي الشرقي بني بعضها فوق مغاور طبيعية.
8. بقايا معمارية تعود للعصر الحديدي المتأخر، والتي تجدد الاستيطان فيها في العصر اليوناني «الهلينستي» واستمر حتى نهاية الفترة الرومانية القديمة.
9. بقايا معمارية تعود للعصر البيزنطي، تدل على وجود مستوطنة أو بقايا دير؟ في معظم الحفريات التي تمت في القرية وتقع في أربعة قطع من الأراضي الخاصة التي لم يتم البناء الحديث فيها بعد. تشمل هذه البقايا جدران وثلاث قطع من ارضيات الفسيفساء

الشكل 4 - ام طوبا، تاج عامود كورنثي بعد تنظيفه.

احداها ملونة. وجدت مغاره تحت هذه الارضيات منحوتة بالصخر يتوسطها عامود وبجانبها لوح حجري استخدم في الأصل كسور يفصل بين محراب الكنيسة وبين قاعة الزوار. تعزز هذه البقايا وجود موقع كنسي في الخربة اوربما كانت هذه المغارة مدفنا لرجال الكنيسة «كريبتا».

هذه البقايا استمرت حتى نهاية الفترة الإسلامية الأولى (العصر الاموي وبداية العصر العباسي).

البقايا المعمارية للدير في الحفريات الإثارية

في السنوات 2005، 2014 - 2015 تم الكشف عن بقايا معمارية تعود عما يبدو لدير بيزنطي ضمن حيز ثلاثة قسائم بناء خاصة تعود ملكيتها الى عائلة أبو طير.

الحفرية الأولى، تمت في العام 2005 بإدارة الباحثة أنا ايريخ روز وفيها تم العثور على بقايا معمارية من عدة مراحل من البناء، تميز فيها إعادة استخدام بعض الجدران من فترات ومراحل سابقة.

بقايا المرحلة الأولى (الشكل 2)، وهي الاقدم حيث تحتوي على بقايا غرفة او قاعه مستطيلة الشكل مبلطة، وبقايا ساحة ذات ارضية مصنوعة من الجير الأبيض، بئر ماء ومغارة في طرفها الغربي. وعلى ما يبدو ردمت هذه الساحة بطبقة من الحجارة إثر تعرضها لهزة أرضية اجتاحت الموقع؟، وقد تم العثور على تاج عامود كورنثي تزينه الصلبان (الأشكال 3، 4). تشير الموجودات الأثرية من هذه المرحلة على ان هذه البقايا تعود للعصر البيزنطي.

تبرز في المرحلة المتأخرة تغييرات داخلية تشير الى مرحلتي بناء مختلفتين. حيث تم في المرحلة الأولى القديمة منها توسعة الغرفة نحو الشمال وسقفها قبو معقود، كما وبلطت ارضيتها بقطع من البلاط الحجري. تم العثور على كنزين من قطع العملة الاموية تحت البلاط، والتي صكت في

الشكل 5 - ام طوبا، البقايا المعمارية للمرحلة المتأخرة.

دمشق سنة 745 م.

في المرحلة الثانية (الشكل 5) طرأت تغييرات في نمط البناء من خلال إضافة جدران فاصلة قسمت الساحة الى ثلاثة أجزاء. حيث تم العثور على اناء فخاري كبير زير مؤرخ الى العصر الاموي او العباسي (الشكل

الشكل 6 - ام طوبا، إناء فخاري كبير وجد في إحدى الغرف.

6)، وضع على أرضية جيرية. كما تم ادخال تغييرات إضافية في الغرفة الجنوبية، حيث تم تحويلها من غرفة عرضية الى غرفة طولية، ووضع طابون فيها.

الموجودات الاثارية

تم العثور على العديد من اللقى الصغيرة المتنوعة، بعضها من الفخار تشمل على اوعيه محلية الصنع وأخرى مستوردة. استخدمت هذه الفخاريات للطبخ، للسكب، للشرب وللتخزين. الى جانب هذه الفخاريات وجدت 107 قطعة نقدية، يعود بعضها الى العصر البيزنطي والمعظم الى العصر الاموي. كما وتم العثور على أوان زجاجية كالصحون والأساور، ألواح زجاجية إضافةً الى قطع ملونة من الفسيفساء استخدمت كما يبدو في البناء. كما وتم الكشف عن العديد من ألواح القرميد التي تدل على اسلوب تغطية سطوح الغرف والساحة في الموقع. كما تم العثور على أدوات مصنوعة من الحجر الجيري الصلب او من الصوان والبازلت، كانت تستخدم في تصنيع المنتجات الزراعية. بالإضافة الى أواني الطبخ من حجر «الصابون» الستياتيت المستورد من محاجر الحجاز. كما واكتشفت ألواح حجرية مصنوعة من الجير او الرخام المزخرف بعضها بأطر مجوفة، إضافة الى الأعمدة المصنوعة من الجير الصلب او الرخام المستخدمين في بناء الكنائس والاديرة.

الشكل 7 - ام طوبا، البقايا المعمارية المكتشفة في الحفرية الثانية.

الشكل 8 - ام طوبا، حجررحى استخدم لهرس الزيتون.

تعود هذه الموجودات الى حقبة زمنية طويله تمتد من العصر البيزنطي الى العصر الإسلامي القديم (الاموي وبداية العباسي). غيران بعض هذه اللقى تعود لعصور أخرى مبكرة كالعصر الحديدي المتأخر، العصر اليوناني، العصر المملوكي والعصر العثماني.

الحفرية الثانية – الموسم الثاني

أجريت هذه الحفرية عام 2014 (الشكل 7)، تم العثور فيها على بقايا او قطع من الجدران ومنشأة صناعية تعود لمعصرة زيتون (الشكل 8). تعود الجدران المكتشفة لبناءين متلاصقين يعودان للعصر البيزنطي والإسلامي الاول (الاموي).

الحفرية الثالثة – الموسم الثالث

أجريت هذه الحفرية عام 2015، تم العثور فيها على بقايا غرف مقامة فوق مغاور حفرت تحت الأرض، قد تكون استخدمت كمدافن كما ذكر سابقاً (الشكل 9). تم رصف ارضية احدى الغرف بالبلاط الحجري، وقد عثر تحت مصطبتها على 12 قطعة نقدية برونزية تعود للعصرين البيزنطي والأموي.

الخلاصة

تشير نتائج الحفريات والمسوحات الاثرية التي تمت في الخربة وما حولها، الى وجود بلدة او مستوطنة زراعية، تحتوي على مبان عدة، آبار، مغاور وسلاسل زراعية. حتى اليوم لم يتم الكشف عن منشئات صناعية ما عدا فرن لصناعة الفخار من العصر الهلينستي وفرنيين لاستخراج الشيد من الفترة العثمانية.

تشير الموجودات الفخارية، الأواني الزجاجية وقطع العملة الى ازدهار خربة ام طوبا خلال العصر البيزنطي والعصور الإسلامية القديمة. تعود الموجودات الأقدم الى العصر الحديدي المتأخر (القرن التاسع حتى السادس قبل الميلاد)، ومنها اختام «للملك»، وتعود موجودات أخرى الى العصر الهلينستي إضافة الى المنشئات التي استخدمت لتربية الحمام، وفرن لصناعة الفخاروالتي استمراستخدامه في العصر الروماني.

الموجودات من العصور المتأخرة، كالعصر المملوكي والعثماني، تشير الى ان الموقع الذي ذكره الجغرافي والرحالة الاسلامي ياقوت الحموي في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر ميلادي قد استمر بالوجود. الرحالة الحموي يذكر «ام طوبا» ويصفها على أنها قرية تجاور صور باهر.

ظهر اسم الموقع «ام طوبا» مرة أخرى في سجلات الضرائب العثمانية (القرن السادس عشر)، وفيه عاشت 36 عائلة مسلمة. اما بالنسبة لاقتصاد القرية فهي اعتمدت على زراعة الحبوب، القمح والشعير وكذلك على تربية المواشي. ومن المرجح ان الموجودات الفخارية، البيوت ذات الطراز الشرقي المحلي وافران الشيد فهي من آثار بلدة ام طوبا القائمة حتى يومنا هذا.

ورد ذكر خربة ام طوبا في المصادر والقواميس الجغرافية الرومانية (Gazetteers)، والتي توثق المواقع المذكورة في العهدين القديم والجديد على أنها قرية في يهودا. إلا أنها لم تذكر في الاونامستيكون الذي ألفه الاسقف المعلم يوسابيوس رئيس أساقفة قيصرية فلسطين في القرن الرابع الميلادي. ويعزى عدم ذكرها الى كونها بدون أهمية تذكر. ربما كان الموقع مهجورا في تلك الفترة حيث تم تجديد الاستيطان فيه بعد موت يوسابيوس حوالي سنة 340 ميلادي.

الشكل 9 - ام طوبا، البقايا المعمارية المكتشفة في الحفرية الثالثة.

تؤكد الموجودات المعمارية المكتشفة مثل تاج العامود الكورنثي، الألواح الحجرية المزخرفة والزجاجية، والفسيفساء الملونة على وجود دير او كنيسة في الموقع.

استمر الموقع البيزنطي بعد الفتح الإسلامي (العصر الاموي) حيث تحول اسم الموقع من «متوبا» الى ام طوبا، وذلك ضمن موجة التعريب التي اجتاحت معظم مناطق الشرق، والتي كانت تخضع للإمبراطورية البيزنطية. كذلك انعكست هذه الموجة في استخدام اللغة العربية في الأمور الدنيوية والدينية، كاستخدام التقويم الهجري والعمل به، ترجمة الكتب والأناجيل المسيحية الى اللغة العربية، إضافةً الى استخدام الأسماء والألقاب العربية.

تعتبر استمرارية الاستيطان في الموقع المسيحي بالفترة الإسلامية الأولى هي جزء من ظاهرة عامة تضم العديد من المواقع الاثرية في الريف المقدسي مجاورة لام طوبا مثل الاديرة والمواقع الزراعية شمال شرق بيت لحم مثل حقل الرعاة، خربة القط، خربة لوقا, خربة أبو غنيم, خربة صيار الغنم, خربة ام العصافير, خربة صبيحة «رمات راحيل» وكنيسة الكاتيسما. وهذا يستدل عليه من نتائج الحفريات والبحث الاثري الذي يقدم معلومات قيمة عن اهمية الموقع والتوزيع الاستيطاني خلال الفترة الإسلامية الاولى في منطقة القدس وبيت لحم كما وتساهم في تعريف هوية الموقع.

الدير في خربة حور (حورة)

د. دانييل فارغا، عنات راسيوك ومارتن باسترناك - سلطة الآثار

مقدمة

اكتُشف في أعمال التنقيب التي أجريت في عام 2014 عند مدخل قرية حورة البدوية في شمال النقب، دير مثير للإعجاب من العصر البيزنطي. يقع الدير على المنحدرات الجنوبية لجبال يتير، ويرتفع 400 متر فوق سطح البحر في منطقة تتميز بالتلال معتدلة الارتفاع. تم حفر الدير بالكامل، ويشتمل على سبع غرف، أربعة منها مرصوفة بالفسيفساء مزينة بثلاث كتابات يونانية، كتابة واحدة باللغتين اليونانية والسريانية، وثلاث غرف اخرى للخدمة.

كان اكتشاف الموقع كجزء من مسح لخريطة يتير أجراه يهودا جوبرين عام 1989. وفي عام 2013، أجرت فالدا كرمل عمليات تنقيب لفحص الموقع، والتي كشفت بقايا مبنى ضخم من العصر البيزنطي، وظهر في البداية كأنه بيت في مزرعة، لكن اتضح لاحقًا أنه دير مرتبط بالمستوطنة البيزنطية القريبة خربة حور (الشكل 1).

نظرة عامة على المباني والمجمعات السكنية التي تم تحديدها كأديرة في شمال النقب

كانت الأديرة تعمل وفقًا لمبدأ «الصلاة والعمل». قسّم هذا المبدأ الحياة في الدير إلى ثلاثة أنشطة رئيسية: الصلاة، دراسة الكتاب المقدس والعمل البدني (مناوبة في التنظيف والمطبخ، الزراعة في قطع أرض تابعة للدير أو خارجه وأنشطة أخرى). من أجل تلبية هذه الاحتياجات شمل الدير «النموذجي» ثلاثة عناصر معمارية: كنيسة (أو مصلى)، غرف معيشة وغرف خدمة (مطبخ، غرفة طعام، مستودعات، أماكن حرف). في كثير من الحالات، لم تشمل الأديرة على هذه العناصر، إلى جانب مستوى الحفاظ على الآثار، غالبا ما يكون تحديد المبنى صعبًا أو إذا كان مجموعة مبانٍ كدير.

تم تحديد ثلاثة مبانٍ كأديرة داخل مدينة بئر السبع: الأول عند مفرق مجمّع النقب التجاري. كشفت هناك عن مجموعة من الغرف حول بازيليكا. والثاني أمام السوق البدوي، والثالث مبنى كبير ذات ميزات متعددة عُرِفَ على أنه مبنى ديني مسيحي، أكتشف من قبل باحثين من جامعة بن غوريون في النقب.

في شمال شرق النقب، وتحديدًا في مثلث بين بئر السبع والبحر الميت وديمونة، تم اكتشاف عدد من الأديرة، وبعضها غير مؤكد الغاية. اكتشفت الأديرة في كل من خربة كسيف، تل عيرا، خربة سوعا وتل مشوش. واكتشفت في الدير الأخير كتابة باللغة الفلسطينية المسيحية. وفي شمال مركز النقب، في مستوطنة غفاعوت بار المجاورة لرهط، كُشف عن دير يضم معصرة نبيذ صناعية، وحوله عدد من المزارع.

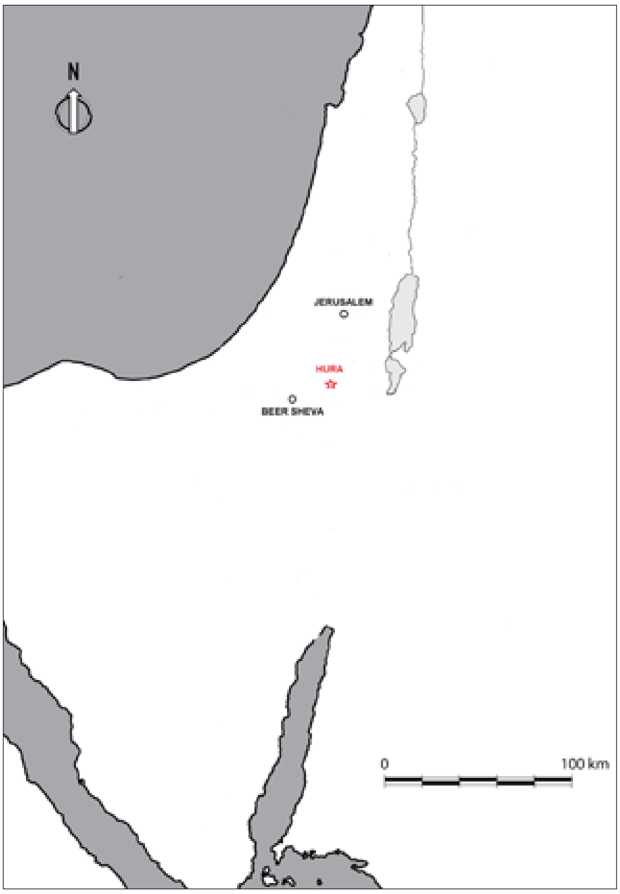

الشكل 1- دير خربة حورة، خريطة المكان

الدير في خربة حور (حورة)

تمتد خربة حور على تلتين طويلتين، باتجاه الشرق والغرب، وتبلغ مساحتهما حوالي 200 دونم. تم مسح المباني المربعة في الموقع، وفصلت الأزقة بينها. بقيت بعض المباني محفوظة حتى علو متر، بضمنها المدافن المحفورة في الصخر ومنشآت زراعية مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، تمّ مسح عشرات آبار المياه، معظمها على شكل جرس، محفورة في الصخر. أما في الطرف الشمالي الشرقي من الخربة ظهرت بقايا كنيسة كبيرة ذات شكل بازيليكا (50 × 21 مترًا)، وبمحاذاتها بعض الغرف. شُيدت جدرانها من حجارة الصوان الضخمة، التي حفظت بارتفاع 1.50 مترًا. جرى في السابق حفر بقايا المباني السكنية، المزارع، بيوت الحراس، آبار المياه والعديد من المدافن. معظمها من العصر البيزنطي، وبعضها من الفترة

الشكل 2 - صورة جوية للدير خربة حورة (تصوير: سكاي فيو)

الإسلامية المبكرة. يقع الدير على بعد نحو 500 متر غرب المستوطنة البيزنطية في خربة حور (الشكل 2).

مبنى الدير

مبنى الدير (28 × 21 مترًا)، مقسم إلى قاعات وغرف مبنية على المحور شرق - غرب، باستثناء صالة الطعام (الغرفة 7) المبنية على المحور شمال- جنوب. تبرز بين القاعات قاعة الصلاة (الغرفة 5) وغرفة الطعام (الغرفة 7)، نظرًا لحجمها ورصفها المذهل بالفسيفساء. حفظت الجدران الخارجية للمبنى حتى ارتفاع مدماكين وتم بناؤها بحجارة الصوان والجير، مع استخدام الحجارة الصغيرة والطين كمواد للقصارة. وحفظت الجدران الداخلية لارتفاع مدماك واحد وبنيت من الحجارة الصغيرة. وغُطيت جميع الجدران بالجص المدهون باللون الرمادي الفاتح (الشكل 3).

ينقسم الجناح الغربي المحفوظ جزئيًا في الدير إلى ثلاث غرف خدمة على الأقل (الغرف 1 - 3)، وربما كانت هناك غرفة أخرى، شمال الغرفة 3، والتي لم تصمد. مساحة هذه الغرف حوالي 6.5 × 5.0 مترًا، وكانت مرصوفة بالفسيفساء الأبيض، الذي أتلف معظمه بسبب الانهيارات الأرضية بعد انهيار المبنى في نهاية الفترة البيزنطية.

يحتوي المبنى على مدخلين: من الجنوب عبر الجدار الجنوبي إلى الغرفة 4، وربما أيضًا من الغرب عبر الجدار الغربي إلى الغرفة 2، ومنها يمكن الانتقال من منطقة الخدمة إلى ساحة مركزي مفتوح غير مرصوفة. في وقت لاحق ألغي المرور عبر منطقة الخدمة لسبب مجهول. وكانت عدة مداخل من الساحة المركزية إلى غرفة طعام (الغرفة 7)، قاعة الصلاة (الغرفة 6) وغرفة أخرى في الجنوب كانت مهدمة (الغرفة 8) وإلى منطقة الخدمة من الغرب. هُدم الجدار الذي يحدّ الفناء من الشمال بالكامل تقريبًا، ربما بسبب انهيار بئر ماء محفور تحته في هذه المنطقة.

يمكن الدخول إلى غرفة الطعام (الغرفة 7)، التي تبلغ مساحتها 10 × 5.5 مترًا، عبر ثلاثة مداخل؛ فتحتان من الساحة المركزية ومدخل ثالثة صغيرة إلى الشمال. كانت هذه الغرفة منخفضة 40 سم عن أرضية المبنى، لذا أضيفت درجتان في كل من المدخلين الغربيين (الشكل 4).

يمكن دخول الغرفة الرئيسية (8 × 5 مترا، الغرفة 5) التي تحتوي على الكتابة التي تشير إلى تاريخ بناء الدير، عبر الساحة المركزية من الغرب

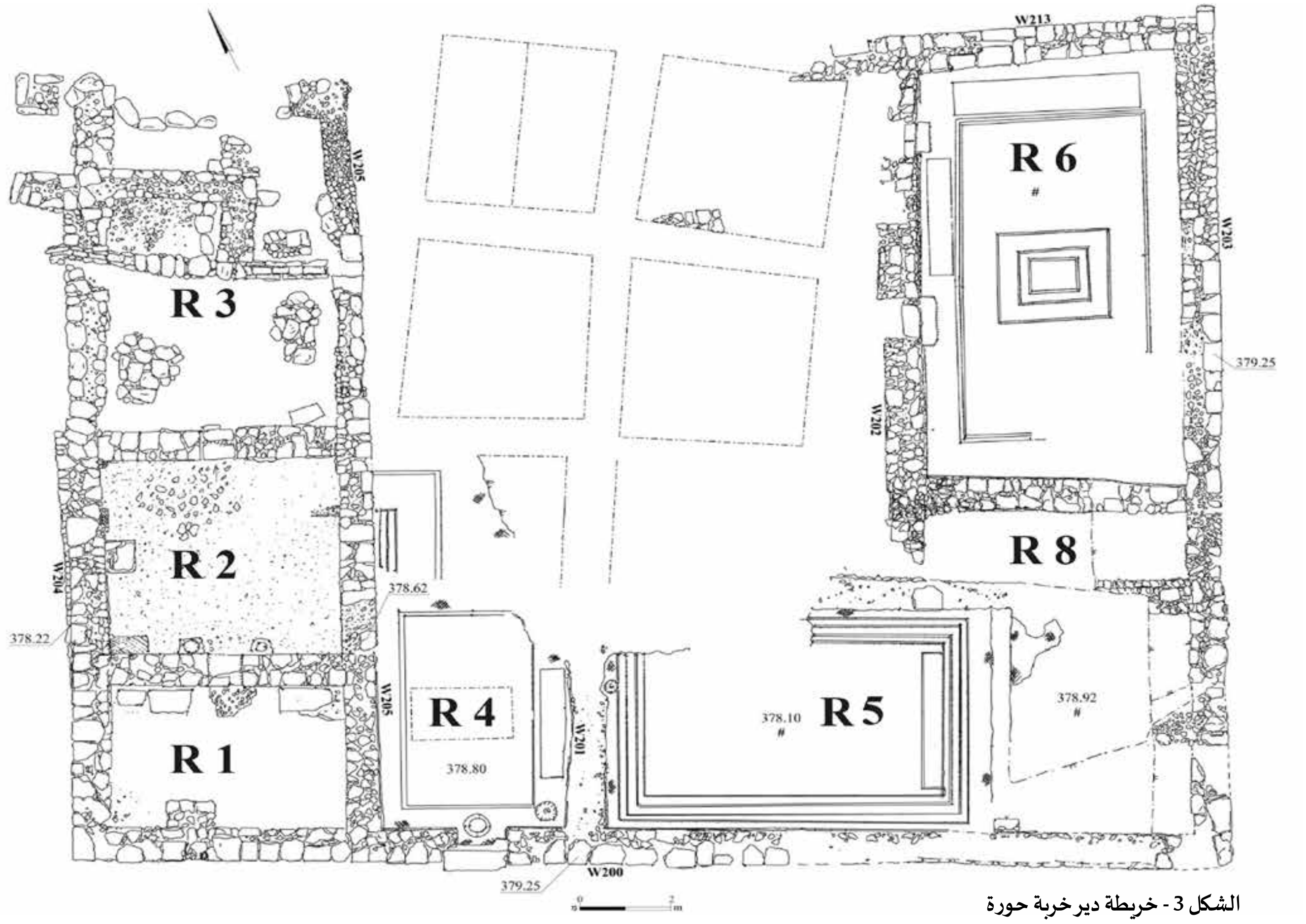

الشكل 3 - خريطة دير خربة حورة

والشمال، من غرفة أخرى (الغرفة 4). بنيت في طرفها الشرقي قاعة أخرى، وتحتوي على منصة بارتفاع حوالي 15 سم، يفصلها حاجز مشبّك. كانت المنصة بارتفاع المسطبة المنحدرة، ودمرت بالكامل تقريبًا، لذا يتعذر أن نعرف هل كانت هناك حنية داخلية في الطرف الشرقي لهذه القاعة. ويبدو أن الغرفتين استخدمتا للصلاة، هذه الغرفة والمصلّى (الشكل 5).

بنيت غرفة أخرى غرب قاعة الصلاة (6×4 أمتار، الغرفة 4)، ربما هي بهو الدخول الى الغرفة من خارج المبنى (الشكل 2). كانت في وسط الغرفة حفرة مستطيلة (2.5 × 1.2 مترًا)، يبدو أنها قبر أخلي بعد الانهيار الجزئي للمبنى.

من غير المستبعد أن تكون للدير مبانٍ أخرى شكّلت مجمعًا أكبر ولم تصمد حتى يومنا هذا.

الفسيفساء

تم اكتشاف أربعة مساطب فسيفساء في دير حورة: مسطبة قديمة من النصف الأول من القرن الخامس الميلادي وثلاث مساطب فسيفساء من الربع الأخير من القرن السادس الميلادي. تم تحديد تاريخ مسطبتين حسب النقوش المكتوبة فيها، وباقي المساطب حسب أسلوب الزخرفة لمثيلاتها. فسيفساء غرفة الصلاة أقدم من غرفة الطعام ب- 21 عامًا.

الشكل 4 - دير خربة حورة، الغرفة 7 – غرفة الطعام (تصوير: سكاي فيو)

يختلف شكل الحروف في كتابات غرفة الطعام عما في المسطبتين الأخريين، وبالتالي لا يمكن تأكيد علاقة هذه الفسيفساء مع أي من المسطبتين الأخريين، ولكن استنادًا إلى المنطق المعماري، يبدو أن ثمة ارتباط بين غرفة الطعام ومرحلة البناء اللاحقة للموقع.

فسيفساء منطقة غرف الخدمة كانت مزينة بحلقات متشابكة، تؤلف نمط حياكة معقدة من الدوائر المتشابكة غير المتناهية، وحفظت جزئيًا خلال أعمال البناء المتأخرة. أكثر ما يشبه نمط فسيفساء حورة الفسيفساء في الكنيسة الشمالية في شيلاه، والمؤرخة بالنقوش الكتابية إلى نهاية القرن الرابع الميلادي. مجموعات الفسيفساء من هذا النوع مميزة للنصف الأول من القرن الخامس الميلادي (الشكل 6).

تمتاز الفسيفساء بدير حور بجودة ودقة فنية بتصميمها الهندسي، وذات نماذج أوراق الشجر على شكل قلب بخمسة ألوان مختلفة، محاطة بخط حدودي أسود. الأوراق مترتبة في صفوف مستقيمة، بحيث توازي الأوراق في الصف الأعلى تلك التي في الأسفل، وتبعد مسافات متساوية بين أوراق الصف السابق. يحيط بالفسيفساء إطار زخرفي ثري يشمل ثلاث دوائر داخلية مزخرفة: نمط متكرر من زهور الزنبق مرتّبة بالتناوب في اتجاهين متعاكسين، إيداع مزدوج الذي يؤلف شكل جديلة، وشريط يتدلى ويخلق انطباعًا ثلاثي الأبعاد.

الشكل 5 - دير خربة حورة، الغرفة 5 – قاعة الصلاة (تصوير: أساف بيرتس – سلطة الآثار)

تتّصف هذه الحلقات المزخرفة بشعبيتها الواسعة في فن الفسيفساء، واستمر استخدامها طيلة الفترة البيزنطية. أقرب ما يشابه النموذج الذي يزين قاعة الصلاة بحور، فسيفساء حنية الكنيسة الكبيرة بدير مارتيريوس في معاليه أدوميم.

تمتاز فسيفساء غرفة الطعام بأصالتها الفائقة، بما يتعلق بتراكيب العناصر الزخرفية فيها (الشكل 4). مسطبة قاعة الطعام مزينة بشبكة هندسية، من أشكال المعين والمصنوعة من براعم الزهور، وكل معين في وسطه معين أصغر. توجد في وسط السجادة لوحة مستطيلة عليها كتابة منقوشة، واللوحة محاطة بإطارين: الإطار الداخلي أضيق، خلفيته سوداء ومزخرف بنمط متكرر من الورود المكونة من أربع أوراق. مساحة عرض الإطار الخارجي الضِعف، خلفيته بيضاء ومزيّن بأنواع النماذج. في زواياه وصفت أربع جرار، وقفت مائلة. العناصر الأخرى المدرجة في الإطار: في الجانب الشمالي تظهر ميدالية بالأبيض والأسود وفي وسطها كتابة باللغة اليونانية، بحيث تشكّل هيئة صليب من الكلمات الحياة والنور. هذه الميدالية وعلى جانبيها سلال مزينة مليئة بالعنب، وهي موضوعة على طاسات ترتفع على أرجل عالية. بين هذه وتلك، وإلى جانبها نباتات رقيقة تحمل الفواكه، وفي وسط الضلعين الجانبيين تظهر ميدالية. في الجانب الشرقي تزيّنت الميدالية بوردية ذات أربع أوراق، تحيطها أربع أوراق أخرى، ومن الغرب زينة متّحدة المركز. تحيط بالميدالية الأولى عقدة مزدوجة تشكّل هيئة صليب وفي الشريط الشكل ثمانية، ويحيط بالميدالية المقابلة من كلا الجانبين شريط يشبه ثمانية (الشكل 7).

ظهور سلال العنب والجرار ملائم للقاعة التي تستخدم غرفة لتناول الطعام، لكن من الواضح أن مصممي الفسيفساء اهتموا بمنح هذه الأوصاف المعاني المسيحية أيضًا. إن الكلمتين «الحياة والنور» تعنيان يسوع، ليس فقط شكل الصليب الذي تؤلفانه فحسب، ولكن بسبب معانيهما. ويعتبر الصليب بمثابة شجرة الحياة. وظهر على جرار القدس المعدنية، التي كانت تحتوي على زيت الصليب الذي مات يسوع عليه في كنيسة القيامة، الكتابة: «زيت من شجرة الحياة». تظهر الكتابة على حافة الختم الخزفي للقربان المقدس، الذي صنع في أرض إسرائيل في القرن السادس الميلادي، ويحمل في وسطه وصفًا للصليب: «مصدر الحياة هو الصليب، نعمة الله علينا». أما بالنسبة لكلمة النور، فقد وردت في العهد الجديد أن يسوع هو النور (إنجيل متّى 4: 16؛ رسالة بولس الرسول إلى أفسس 5 :14). في إنجيل يوحنا 1: 4-5، تتحد عبارة «الحياة والنور»: «فيه كانت الحياة والحياة هي نور الإنسان»، وتنص الآية 9 من نفس الفصل: «كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ». تتكرر هذه الفكرة لدى المفكرين المسيحيين القدماء، مثل

الشكل 6 - دير خربة حورة، الكتابة في الفسيفساء القديم (تصوير: أساف بيرتس – سلطة الآثار)

كليمنت الإسكندري. كانت المعمودية منذ بداية المسيحية تمثل عملية إنزال النور إلى العالم، وبالتالي فإن الكتابة في حورة قد تشير إلى الصلب بالإضافة إلى طقس الميرون المقدس، الذي يرمز إليه بالمعمودية أيضًا. كانت كتابة الكلمات على الصلبان عادة مألوفة، على ظهر الصليب المعدني أو أحيانا على الصلبان في مسطبة الفسيفساء، كما نرى في فسيفساء دير عين عبتا في جنوب البحر الميت، حيث كُتبت على صليب محاط بزوج من الحملان الكلمات: «نهاية سعيدة». إن العلاقة المزدوجة المشابهة للصليب، والتي تظهر على الجانب الشرقي، هي عنصر معروف على أرضيات الفسيفساء، وفي كثير من الحالات تكوّن بديلاً للصليب، الذي يعتبر رسمه على المساطب ممنوعًا.

على امتداد الجانب الشمالي من سجادة الفسيفساء الرئيسية في قاعة الطعام، نرى سجادة مستطيلة ضيقة مزيّنة بورد من أربع أوراق، مع مربعات مزخرفة بأشكال هندسية مختلفة. هناك سجادة مستطيلة ضيقة أخرى تزين حافة أرضية الفسيفساء في المنطقة المحاذية

الشكل 7 - دير خربة حورة، الزخرفة المركزية في الفسيفساء لغرفة الطعام (تصوير: أساف بيرتس – سلطة الآثار)

الشكل 8 - دير خربة حورة، الكتابة في قاعة الصلاة (تصوير: نيكي دافيدوف – سلطة الآثار)

للدرجتين المجاورتين للفتحات المؤدية إلى غرفة الطعام من ناحية للغرب.

تشمل أرضية الغرفة الواقعة غرب الكنيسة (الغرفة 4) سجادتين من الفسيفساء الهندسي المزين بشبكة من المعينات من نوعين مختلفين. بين السجادتين، نجد منخفضًا مستطيل الشكل (2.30 × 1.50 مترًا وعمق 1.20 مترًا) في الأرضية، ويبدو واضحًا أن سجادة الفسيفساء تدل على وجود قبر أحد رؤساء الدير على الرغم من عدم اكتشاف عظام بشرية، وعدم العثور على بلاطة حجرية مستطيلة تغطي المنخفض. إن وجود قبر رئيس دير بالقرب من الكنيسة هي ظاهرة مألوفة، كما نرى في دير مارتيريوس في معاليه أدوميم. بالقرب من المدخل الشرقي للغرفة، هناك كتابة ثنائية اللغة تتجه نحو الشرق بين الكتابات في الفسيفساء والمنخفض ثمة لوحة صغيرة مزينة بورود ذات أربع أوراق.

في مجموعتَي الفسيفساء اللتين تم اكتشافهما في دير حورة، يتضح تجنب استخدام الشخصيات، باستثناء العصفورين الصغيرين اللذين أدمِجا في فسيفساء قاعة الطعام. إن تجنب استخدام الشخصيات أمر بديهي في مجموعة غير قليلة من الفسيفساء البيزنطية في الأراضي المقدسة. بعض هذه الفسيفساء قديم واستبدل بمرور الوقت بفسيفساء مع نماذج للأشخاص، لكن ظهرت أيضًا حالات معاكسة. هذا يؤكد أنه حتى قبل إتلاف صور ومنحوتات الشخصيات التي بدأت في بعض الكنائس، والتي حدثت في القرن الثامن الميلادي، نادت مجتمعات أخرى لتجنب عرض الصور الشخصية. نشهد في دير حورة اختيار الطريق الوسط على عكس الفسيفساء في الكنائس والمعابد التي زينت بصور شخصيات في المنطقة المعدّة لتناول الطعام، نرى أنهم تعاملوا مع الأمر بسهولة أكبر وأتاحوا تصوير أزواج الطيور بجانب السلة.

الكتابات

عثر في الفسيفساء على أربعة نقوش باللغة اليونانية تشير إلى أسماء رؤساء الدير. كما تظهر تواريخ أعمال الرصف في الغرف المختلفة، والتي تؤرّخ الدير الى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي.

عثر على نقش خاص في المبنى القديم الذي أقيم عليه الدير، وكان عند مدخل الساحة المركزية. الجزء الأيمن من الكتابة، والذي كان يستخدم للإشارة إلى التاريخ، مفقود. يمكن أن نتعلم من هذه الكتابة أنها وضعت بمناسبة الانتهاء من الأعمال في شهر أرتميس.

الكتابة الأكثر أهمية تقع في الطرف الشرقي لغرفة الصلاة، وتُشير إلى تاريخ بناء الدير: شهر دايسيوس في الإشارة الثامنة، في عام 376 من تقويم إليوتوبوليس (بيت جبرين)، أي من مايو إلى يونيو 575 ميلادي. وورد في الكتابة نفسها أسماء آباء دير نونون وإلياس (الشكل 8).

الكتابة في الغرفة 4 هي ثنائية اللغة، يونانية وسورية أو سريانية محلية (الشكل 9). التاريخ المذكور في جزء من الكتابة اليونانية هو شهر أفيليوس في عام التقويم الخامس عشر 397، أي 596 ميلادي. بالإضافة إلى ذلك، ورد في هذا الجزء اسم أب الدير إيلاريون (الشكل 9). الجزء الثاني من السطر الأخير كُتب باللغة السريانية الفلسطينية، ومع ذلك فإن نص هذه الكتابة القصيرة ذات أهمية كبيرة. كما أظهرت الدراسة، فإن النقوش السورية المحلية معروفة بشكل رئيسي في الأرض

الشكل 9 - دير خربة حورة، الكتابة باللغتين (تصوير: نيكي دافيدوف – سلطة الآثار)

المقدسة من مواقع في شمال يهودا وبنيامين، بينما الظهور الأقصى جنوبًا لهذه النقوش هو في كنيسة العنب الكبيرة في جبال الخليل. الكتابة في دير حورة تزيد من انتشار الكتابات بهذه اللغة حتى منطقة النقب. النص المكتوب هو اقتباس من المزمور 21: «هذه هي بوابة الرب، والأبرار يدخلونها». غالبًا ما يتم اقتباس هذه الآية على أبواب الكنائس في فلسطين وسوريا. تهدف هذه الآية للإشارة إلى الأهمية الروحية لدخول الكنيسة والمشاركة في احتفالاتها، بمعنى أن الدخول إلى أبواب الله يمرّ عبر الكنيسة.

ضمن النص المكتوب في وسط الفسيفساء بغرفة الطعام المكرّسة لإحياء ذكرى رجل يدعى أناستاسيوس، ورد أيضًا تاريخ 27 من شهر غوربايوس، في التقويم الأول هو 14 سبتمبر، ويذكر إلياس رئيس الدير.

بقايا أخرى - المقبرة

تقع مقبرة الدير على بعد حوالي 15 مترًا إلى الشمال الشرقي منه. احتوت المقبرة على أكثر من أربعين صندوق دفن، تم بناؤها من إطار من حجارة جيرية بيضاء، منحوتة في ألواح مربعة ومستطيلة. يتراوح طول القبور من 1.90 مترًا إلى 2.10 مترًا، ويبلغ متوسط عرضها حوالي 60 سم. وجدت القبور مرتبة في صفوف شرق – غرب، ورؤوس المدفونين لجهة الشمال، وتنظر إلى الشرق. أظهر الفحص الأولي الذي أجري للعظام في المكان، لأربعة قبور تم فتحها أن المدفونين هم من الذكور البالغين.

القبور الأربعة التي حفرت وجدت فارغة باستثناء عملة نقدية بيزنطية. فتحت بعض القبور الأخرى ولكن لم يتم حفرها. كشفت عدة جدران من حجارة الصوان والجير بجانب القبور، وقد تكون هذه الجدران هي التي حدّدت منطقة الدفن. نظرًا لقرب المدافن من مبنى الدير، وإزاء التعرف المدفونين على أنهم رجال بالغون، فإن التعرف على مقبرة الرهبان يبدو أكيدًا.

الخلاصة

يبدو أن هذا الدير، الواقع بالقرب من خربة حور البيزنطية، هو جزء من سلسلة أديرة تقع على طول طريق الذي يربط الأردن بوادي بئر السبع. نظرًا لموقعه على الطريق، فقد خدم هذا الدير السكان الذين ينتمون إلى تيارات مختلفة في المسيحية في ذلك الوقت، ولهذا السبب فإن الزخارف التي تظهر في الفسيفساء تعبّر عن العديد من التنازلات. على سبيل المثال، يمكن أن نلاحظ غياب الأشكال البشرية، ولكن يظهر عدد محدود من حيوانات في الفسيفساء في غرفة الطعام (الشكل 4). وكذا الأمر ينطبق على الصلبان المحظور رسمها على المساطب بموجب المرسوم الإمبراطوري للقيصر ثيودوسيوس الثاني. في غرفة الطعام، يمكن ملاحظة عدد من الزخارف التي تبدو بوضوح مثل الصلبان، وحتى التورية اللفظية، «النور» و«الحياة» وضعت عموديًا على بعضها البعض، وتشكل الصليب (الشكل 7). هذا التصميم يضفي بعض الغموض والراحة على كتابة الأيقونات.

تم اكتشاف مجموعة صغيرة من الفخار المحلي في حفريات الدير، وربما كان ذلك نتيجة مغادرة منتظمة من المبنى إثر وقوع زلزال. هدم الزلزال المبنى جزئيا في أواخر العصر البيزنطي أو بداية العصور الإسلامية الأولى، يبدو أن الأضرار التي لحقت بالمبنى كانت واسعة ولم يتم ترميمه. قد لا تكون هذه المرة الأولى التي يتم فيها هدم المبنى، تشير سجادة الفسيفساء القديمة إلى دير أو كنيسة كانت قائمة من قبل هناك، ربما في القرنين الرابع والخامس. يعود تاريخ مجموعة الفخار الذي تم اكتشافه في حفريات الدير إلى القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي، كما اكتُشف عدد قليل من الأواني الزجاجية، وعدد صغير من العملات المعدنية البيزنطية. إن عدم وجود اكتشافات من الفترة الإسلامية المبكرة يعزّز الادعاء بأن المبنى لم يستخدم بعد ذلك، وبمرور الوقت هدم وغطي بتربة الصلصال حتى اكتشف مرة أخرى في الحفريات الأثرية.

التعرف على مجتمع ديونيسيوس في مقبرة عسقلان الشرقية

دافيدا أيزنبرغ ديجين وإيلان بيرتس - سلطة الآثار

الشكل 1 - تصوير جوي لموقع المدافن الرومانية والبيزنطية في عسقلان (تصوير: نوي ميشيل، سلطة الآثار).

قامت بلدية عسقلان خلال عمليات التنقيب الكشف عن مقبرة جماعية (الشكل 1). وكانت المقبرة، مستطيلة الشكل (3X 2م)، مقسمة إلى أربع حجيرات للدفن. كانت كل حجرة في الأساس مبنية بشكل تستوعب مكان دفن رئيسي لشخص واحد. وقد وضعت ثلاث منها على محور شمال-جنوب. واحدة، على طول الطرف الجنوبي، وهي على محور شرق-غرب (الأشكال 2 - 3). طوال الفترات الرومانية والبيزنطية الأخيرة، كان هنالك دفن إضافي في الحُجَيرات. حيث تم الكشف عن بقايا واحد وثلاثين هياكل عظمية، ستة وعشرين منها لأشخاص بالغين، ولدين وثلاثة أطفال رُضّع.

ويُذكر أن بعض مراسم الدفن التي تمّت لاحقا جرت بحسب العادات الأصلية التي كانت متّبعة في المنطقة الشمالية الجنوبية. كما أضيفت المدافن في أماكن خلفية، ولم يعد التقسيم الأصلي للحُجَيرات واضحًا، ودفنت جثامين المتوفين بدون الحفاظ على اتجاه واضح، ووضعت في أماكن الدفن السفلى في القبر كمية كبيرة من الأمتعة والحاجيات. معظم الاكتشافات المعدنية أتت من الطرف الشرقي للحجرة في مرحلة الدفن الأولى، تشهد الأمتعة والحاجيات التي أُكتشفت على أن المبنى ومراسم الدفن الأولى يعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي. ويشار إلى أنه في الفترة البيزنطية، وُضع بعض المتوفين في جرار وأوعية تخزين خزفية، والتي كانت تستعمل في الأصل لتخزين ونقل النبيذ، وهذه الجرار وضعت في الطبقات العليا من المدفن الجماعي.

يعتبر مقبض النمر الرابض المصنوع من البرونز الصلب أحد الحاجيات المودوعة. يظهر فيها النمر وهو في وضعية مهدّدة للهجوم. كما أن رأسه مفتوح الفك، وأنيابه بارزة، الأذنين منحنيتان إلى الخلف. يمتد ذيل النمر، المعقوف قليلاً إلى الأسفل وينتهي بخصل شعرية كثيفة، يقع الجزء السفلي من المقبض، مباشرة تحت ذيل النمر. قسمه الأسفل مصمم على شكل تمثال نصفي، الجزء العلوي للإنسان، ويسمى «البروتوما» (الشكل 4). يبدو وجه التمثال بمظهر شبابي مليء بالحيوية، والنضارة، ذو شعر حلزوني أجعد، ينتشر على جانبي الرأس، وفوق الأذنين. أما الشكل الحلزوني فيمثل أغصان الكرمة التي تحدد هوية الشباب على أنها ديونيسيوس، وهو إله الخمر بحسب الأساطير

الشكل 2 - المقبرة، مقسمة إلى أربع حجيرات للدفن (تصوير: بيرتس، سلطة الآثار).

اليونانية، وكذلك الحلي الحلزونية المزخرفة على شكل قرون تعكس نوعًا من الهيجان والإثارة الجنسية. أما مخالب الفهد الأمامية، والشكل الثلاثي بأسفل التمثال، كانت متصلة بوعاء زجاجي أو برونزي، كالإبريق الذي يستخدم للنبيذ اليوناني القديم، أو جرّة.

كانت الفهود تُعتبر زخرفة للتحف البرونزية الرومانية والأوعية ذات المنفعة للاستعمال. كما ووجدت في رومانيا وهولندا مقابض، مشابهة بنفس التصميم لتلك التي اكتشفت في بلدة عسقلان. يظهر في هذا المكتشف النمر مع الفريسة في أسفل تمثال البروتوما. على الرغم من أن تماثيل البروتوما الخاصة بالنماذج الأوروبية تفتقر إلى التفاصيل، إلا أنه يبدو هنا واضحًا كالشكل الحلزوني على غرار ذلك الموجود في جانبي الرأس، وهو واضح من كل جهات الرأس في معرض المقبض المكتشف في حفريات عسقلان. يعرض مقبض عسقلان نوعية ذات جودة عالية، أكثر من القالب والشكل لنفس التصميم، والذي يعود تاريخه إلى أواخر القرن الثاني والثالث للميلاد.

غالبًا ما يصطحب النمر لإله الخمر ديونيسيوس، هذا يدلّ على انتشار عبادة إله الخمر المعروفة بالديونيسياك في الشرق. كثيرًا ما يظهر إله الخمر ديونيسيوس راكبًا على ظهر نمر، أو في عربة يجرّها اثنان أو أربعة فهود. يذكرانه في حالات عديدة، يقف إله الخمر والفهد بجانب قدميه. كما يستدل من المكتشف أن إله الخمر والفهد يحظيان بأهمية خاصة في السياقات المحلية والجنائزية على نطاق واسع.

أما البروتوما الظاهر على شكل نوع من القواقع البحرية ذات الشكل الحلزوني فإنه يمثل الإله الإغريقي ساتير. علمًا أن آلهة الإغريق هي أسطورية ولكنها تحمل الخصائص والميزات البشرية أو الحيوانية، هذه الآلهة الإغريقية تعتبر رفاق إله الخمر ديونيسيوس، وهي تمثل القوى الحيّة للطبيعة. ووفقا للأسطورة، تمتلك الآلهة الإغريقية قوى صوفية من هذا العالم، ومن العالم الآخر. ساد الاعتقاد قديمًا أن أفراد مجتمع إله الخمر الديونيسياك الذين كانوا يمارسون الطقوس الخرافية، يتمتعون من بداية حياتهم ببعض الصفات أو السمات لطبيعة الإله الإغريقي. ترتبط هذه الأسطورة بارتفاع نسبة الإلهام بالفن الجنائزي طوال العصور القديمة.

فسيفساء كوز الصنوبر، مركز برزيلاي للتأهيل والحفريات

تم الكشف عن فسيفساء لخمسة أكواز صنوبر أثناء أعمال التنقيب في مركز برزيلاي للتأهيل. كشفت الحفريات عن مدافن محفورة ببساطة،

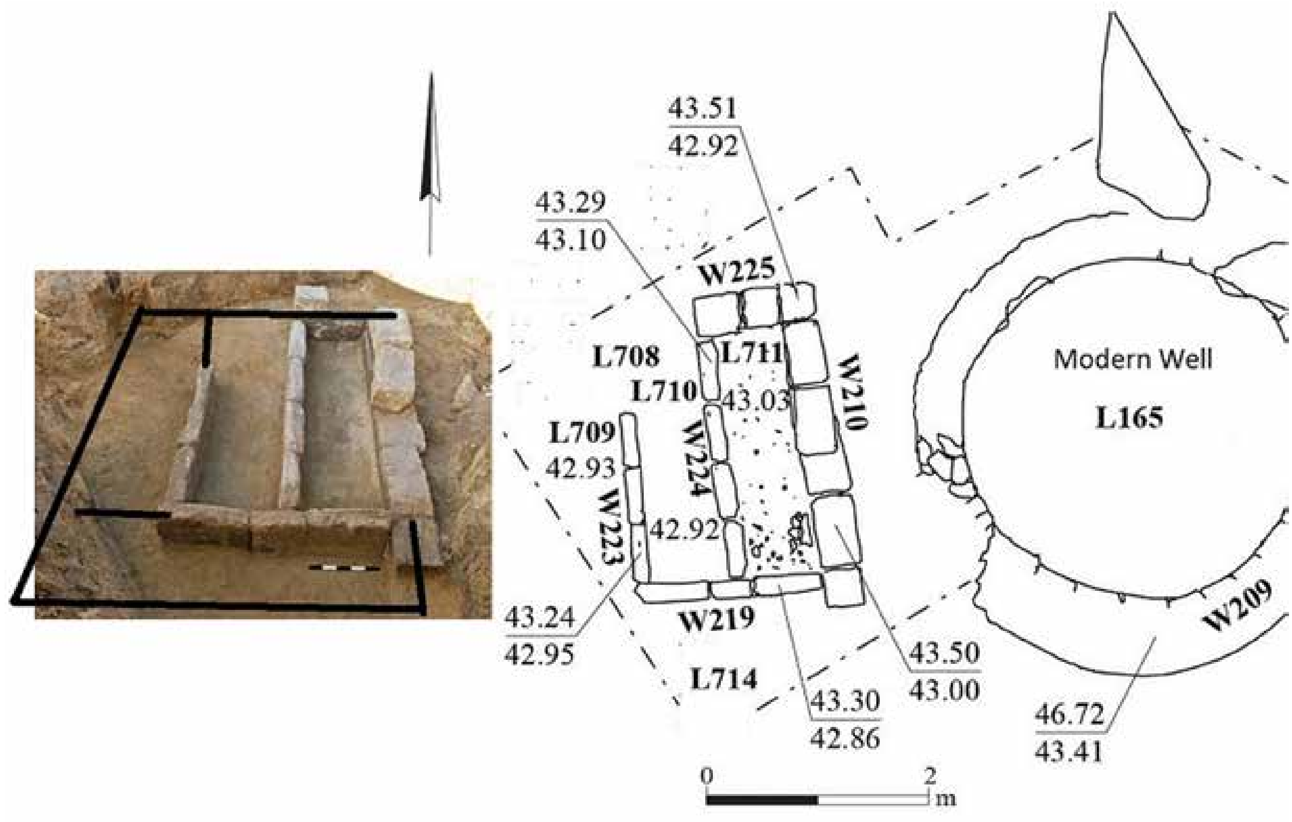

الشكل 3 - خارطة المقبرة على يمين الصورة. شكل المقبرة المقترح على اليسار.

ومدافن عائلية مشتركة تعود إلى الفترة الرومانية. تم الكشف عن بقايا مبنى ضخم (11.5 × 2.5 م)، يتكون من ثلاث غرف متتالية في صف واحد. طريق الغرفة المركزية المرصوفة بالفسيفساء يمكننا الوصول إلى الغرف الجانبية (الشكل 5)، وتبين أن أرضية وجدران الغرف الجانبية لم تكن مصانة ومحفوظة، حيث تم العثور على قطع عديدة من لوحات الرسم المائي على سطح الجص الذي أتلف داخل طبقة التراب التي تغطي الفسيفساء.

تمثل فسيفساء الغرفة المركزية خمسة اكواز صنوبر وضعت في صفين، محاطين بديكور معماري مكون من سلاسل متموّجة ومتقاطعة، وذات حافّة بيضاء (الشكل 6)، وعلى طول حدود الفسيفساء وجدت عشرة منخفضات مخروطة ومقعّرة الشكل ومغمورة، أنقذ سبعة منها، كانت بارزة قليلا فوق سطح الأرض، صنعت من الصلصال مع زخرفة من الجص. تتناسب الأبعاد (25 سم عرض و40 سم عمق) مع الشكل المخروط، هذا يتلاءم مع جرار التخزين المصنوعة من الفخار المحلي. على هذا النحو، قد تكون هذه التجاويف بمثابة مواضع لمثل هذه الجرار. إن كان الأمر كذلك، فلا بد أن يكون الجزء العلوي للجرار بارزًا بارتفاع 20 إلى 30 سم فوق سطح الأرض. على الرغم من عدم العثور على ما يشابهه، فإن التجويف قد يكون مرتبطًا بعملية صبّ النبيذ كاحتفال ديني، على غرار تقاليد صبّ النبيذ، العسل، الحليب أو الدم في الحاوية، التي تحمل رفات المتوفى، كممارسة لطقوس إعادة التواصل بين الموتى والأحياء في سياق العمل المشترك للاحتفال بعيد ديني.

قلما نرى حالات من الزخارف الصنوبرية كجزء من الفسيفساء التي يعود عهدها إلى العصر الهلنستي والروماني والبيزنطي في فلسطين القديمة. فقد عثر على أكواز صنوبر في السياقات الجنائزية من العصر الروماني في المجالين الفني والعملي. كانت أكواز الصنوبر ونسخ مطابقة لأدوات الفخار المصنوعة من الطين المثقوب ذات مسمات أو ثقوب، والذي تعرّض لحرارة منخفضة، وأحيانًا تقدّم فيه الذبائح أو القرابين.

إله الخمر ديونيسيوس وعالم الأموات

إن الأسطورة عن ولادة إله الخمر ديونيسيوس وردت في عدة مصادر وفترات، وكل من هذه المصادر يطرح رواية أو نصًا مختلف قليلا عن سواه. الاعتبار التقليدي، المشار إليه في كل من الإلياذة ودراسة أصول ونَسَب سلالة الآلهة الثيوغونية، يظهر ديونيسيوس بانه ابن زيوس وسيميل. ومن شدة غيرتها ظهرت الإلهة هيرا للإلهة سيميل متخفّية، وأقنعتها أن تطلب من حبيبها أن يظهر لها (أي لهيرا) بكل مجده. وسيميل أقنعت زيوس بأن يقسم بأن تحصل هيرا على رغبتها، وأرغمته على أن يفي بوعده، ثم قدم زيوس نفسه إلى سيميل. أخفت سيميل بطنها بغصن اللبلاب، ليحمي ديونيسيوس الذي لم يولد بعد من صاعقة زيوس. بعد تحول سيميل إلى جمر ورماد استعاد زيوس ديونيسيوس من الرماد، وخيّطه في فخذه حيث بقي آمنًا حتى نهاية فترة الحمل، وفي

الشكل 4 - مقبرة عسقلان، مقبض ابريق برونز على هيئة نمروبروتوما (تصوير: كلارا عميت، سلطة الآثار).

حديث آخرورد لاحقا، يُعرف باسم أسطورة أورفيك، يُعتبر ديونيسيوس ثمرة الاتحاد بين زيوس وابنته بيرسيفونه، ملكة عالم الأموات، ووفقًا لهذه الاسطورة، بعد الولادة، جرى تقطيع الرضيع ديونيسيوس إربًا على يد جبابرة تيتانس، وهؤلاء هم جبابرة ذُرية أورانوس في السماء وغايا على الأرض. ويذكر أن ديميتر أعاد جثة ديونيسيوس المقطعة التي التهمتها الجبابرة، وأبقت على قلبه. وورد أيضا في الأسطورة أن زيوس أو بدلا عنه، أثينا أنقذت قلب ديونيسيوس، فرّمته إلى قطع صغيرة جدًا، وضعته في الحساء على شكل شراب، وقدمته إلى سيميل وبعد أن شربت سيميل قلب ديونيسيوس، حملت وولدت منه لاحقًا. في كلا الحالتين ولد ديونيسيوس مرتين.

لربما اشتهر ديونيسيوس كآله الطبيعة، النبات، الكرمة، العنب والخمر. اتصف ديونيسيوس بكل السمات البشرية والحيوانية، الذكورية والأنثوية، المرتبطة بالموسيقى والمسرح، بالسعادة والجنون والنشوة. كآله لكروم العنب، احتفل الإغريق بمهرجانين على شرفه، الأول مهرجان الربيع، ويتعلق بتقليم الكرمة، الذي شمل أدوار حزن ومأساة، والثاني مهرجان الخريف والشتاء الذي يتوافق مع موسم قطف العنب، وقد شمل عرضًا كوميديًا. التركيز هنا على جوانب أخرى من حياة وأهمية ديونيسيوس، تلك المتعلقة بالخصوبة وعالم الموتى.

تروي الأساطير أنه بعد أن جال ديونيسيوس في العالم وعاد إلى اليونان، تم قبوله كأحد الآلهة الأوليمبية. وإذ هو بهذا الحال، ذهب ديونيسيوس إلى عالم الموتى لاسترجاع والدته سيميل، ثم ذهب إلى أريادن بعد أن هُجِر وتُرِك في جزيرة ناكسوس. تلي ذلك الاحتفال السنوي بنزول ديونيسيوس إلى الاله هاديس إله عالم الموتى. يقترح البعض أن علاقة ديونيسيوس بعالم الموتى، كانت متجذرة في كونه إلهًا للنباتات والخصوبة، وأن الموتى دُفنوا في نفس الأرض التي ينمو منها كل شيء.

ومع أن ديونيسيوس في الأساس لم يكن «إله الموتى»، إنما بحلول القرن الخامس قبل الميلاد أصبح هذا الأمر حقيقة. تم أداء الطقوس الديونيسية سرًا بواسطة مجموعات محلية، أو عائلية صغيرة معنية بعالم الموتى والحياة الآخرة. كان يُعتقد أن ديونيسيوس بصفته «المُحرّر»، بوسعه أن يربط ويجسر بين الحياة والموت، وأن اللوحات القديمة الهلنستية التي اكتُشفت في جنوب إيطاليا، ومنطقة البلقان الشمالية وجزيرة كريت، هي التي ترشد روح الميت. يذكر أن أحد هذه النقوش يحظر دفن أولئك الذين انضموا الى مجتمع ديونيسياك، مع أولئك الذين لم يكونوا جزءًا منه. كما تُعبّر النصوص والصور الموجودة على القبر عن رغبة الذين انضموا إلى هذه العبادة للحصول على الحياة

الشكل 5 - مركز برزيلي، ثلاثة قبور وارضية الفسيفساء.

الشكل 6 - مركز برزيلي، سجادة مركزية من ارضية الفسيفساء.

الأبدية والسعيدة، كما وعدوا بها بعد الموت.

عالم ديونيسيوس في فلسطين الرومانية

الاكتشافات المرتبطة بديونيسيوس تدلّ على شعبية الآلهة في جميع أنحاء فلسطين الرومانية. تشير المصادر الأدبية والاكتشافات الأثرية إلى أن المهرجانات الديونيسية وطرق العبادة قد جرت طوال القرن الثاني والثالث للميلاد. هذه الاكتشافات تشمل أرضيات الفسيفساء التي تُظهر الدورة الديونيسية، ومواكبه بفسيفساء فيلا ديونيسيوس بصفورية وغيرها من الرموز الكثيرة مثل الحيوانات الغريبة بما في ذلك الفهود. تمثل هذه الفسيفساء في الفيلات الخاصة بوضوح شعبية الآلهة في المنطقة، طوال العصور الرومانية والبيزنطية.

يشار إلى أنه تم كشف هوية المجتمعات الديونيسية في عدة مدن رومانية. يستدل بأن علاقة ديونيسيوس بالمدينة كانت علاقة إله يحمي المدينة، ووجود هذا المجتمع داخل المدينة مدعوم بأدلة أدبية وإثنية وأثرية، بما في ذلك مذبح يوناني مكرس لديونيسيوس مؤسس المدينة، والتماثيل والنقوش العديدة من التاريخ الروماني، التي تمثل التكريم والمبايعة لديونيسيوس. في إيليا كابيتولينا - القدس، اشتهرت بنمو الزيتون الأوروبي، اللبلاب، أوراق الكرمة وعناقيد العنب، بالإضافة إلى أوعية مختلفة للشرب والتخزين، وجميعها مرتبطة بديونيسيوس ومثّلت معالم المدينة. غالبية هذه المواضيع الديونيسية التي حفرت أو وضعت على النواميس المصنوعة من مادة الرصاص مع عدد من الاكتشافات الأخرى التي تحمل أفكار ديونيسية، ساعدت في التعرف على مجتمع من الأتباع المخلصين في المدينة. إحدى المجموعات ربما تتعلق بالوحدة العسكرية الرومانية (اللجيون العاشر) الذي تمركز في القدس. يبدو أنه في مدينة القدس أقيمت مهرجانات ديونيسية وكذلك في قيصرية، غزة والشيخ زويد (داخل حدود مدينة رفح الرومانية السابقة).

كانت عسقلان الهلنستية، البيزنطية والمناطق الزراعية النائية المحيطة بها تعتبر مركزًا كبيرًا ورئيسيًا لإنتاج وتصدير النبيذ، ولعب النبيذ دورًا هامًا وأساسيًا في اقتصاد المدينة وثقافتها. يبدو أنه قد تمّ إدخال ديونيسيوس إلى معبد الآلهة في المدينة وجرت عبادته خاصة في أواخر العصر الروماني بالتزامن مع آلهة آخرين. فقد كان متعارفًا عليه أن تقوم الأحتفالات بمناسبة مهرجان مايوماس في العديد من المدن، ولكن كان من العسير الاحتفال به في عسقلان. تشمل الاكتشافات التي تدعم شعبية ديونيسيوس في عسقلان لوحة رخامية تُظهر ديونيسيوس وبان، وحسب الأساطير اليونانية، فإن بان هو إله الحقول، الغابات والرعاة. ويتمثل برجل شبيه بالماعز، ذي قوائم، قرون وآذان، ويتعاطف مع اللإله الروماني سيلفانوس أو فاونوس بواسطة أوراق الكرمة والعنب. كما ونجد بمنطقة عسقلان على بعد 2.5 كم إلى الشمال الشرقي من المقبرة الشرقية، قبرًا عائليًا من أواخر القرن الثالث للميلاد، تظهر على

القبر لوحة جصية وجدران مزينة ومزخرفة برسومات ديونيسية، بما في ذلك العنب والكروم وفتى يسكب النبيذ. تم استخراج تابوتين من القبر، أحدهما يحتوي على جرار ذات جسم دائري كبير وفوهة واسعة، تستخدم لخلط النبيذ وأوراق العنب، ورسومات لعدد من فتيان عراة تم تحديدها على أنها تابعة لديونيسيوس.

في القرن الثالث الميلادي، احتضنت مدينة عسقلان ورشة عمل لتوابيت من الرصاص، التي ظهر عليها زخارف ديونيسية بأشكال بيانية، بواسطة رسومات، تصاميم، خطوط وصور. كما تم استرجاع نقش جنائزي من القرن الثالث الميلادي، يحمل اسم ديونيسيوس. عثر ايضا على مذبح داخل المقبرة الشرقية. إن النقش، المذبح، الفسيفساء الصنوبري ومقبض النمر البرونزي، والتي يعود تاريخها إلى العصر الروماني تُسلط الضوء على جانب مختلف من عبادة ديونيسيوس في عسقلان، وتُوّضح حالة مستودع الجثث المدفونة. ننوه إلى أن هذه الاكتشافات بجانب المراجع تشير إلى وجود مجتمع ديونيسياك تابع لإله الخمر في القرن الثالث الميلادي في عسقلان الرومانية.

شارك أعضاء مجتمعات الديونيسياك وهم الجماعات التابعة لإله الخمر، ضمن مجموعة عالمية تحمل الرموز، وأظهرت هذه الرموز تعبيرات لفظية ومرئية لإيمانهم، على سبيل المثال. قد يُنظر إلى كوز الصنوبر والبذور المدفونة المُخبّأة تحت قشوره أنها تمثل وحدة جماعة المصلين والطائفة في حين أنَّ أوراق اللبلاب قد يكون علاقة بطموحات الديونيسياك، يستدل على أنه خلال الفترة الرومانية، كذلك تمّ الكشف عن رسومات على شكل ورقة اللبلاب عند أعضاء الديونيسياك لإستعمالها بعد الموت كتذكرة دخول إلى حقول الجنة والسعادة. كان مجتمع الديونيسياك يتحمل المسؤولية عن ترتيب الجنازات لأعضائه وربما بنواميس رسمية مع تصورات ذات صلة لتلك التي ظهرت في الفسيفساء، ولربما في لوحة الجص الجدارية ايضا. نرى في مكتشفات عسقلان رابطا مهمًا بين ديونيسيوس وطقوس الجنازة، والتصميمات المختارة والأمتعة الجنائزية المقدمة. تم اختيار مقبض النمر، الذي كان مصدره على الأرجح من جرّة نبيذ استخدمت في المآدب، وهي ذات علاقة واضحة بعبادة إله الخمر ديونيسيوس. وقد تم اختياره عمدًا ليوضع في القبر، وبهذا تكون للمتوفى علاقة وارتباط بالرموز ونظام الديونيسياك بالإيمان والعبادة. بالمثل إن فسيفساء الصنوبر، من خلال وسائل موحية، يتعلق بديونيسيوس والموت ومصير الروح المتوفاة.

مواقع وتحف مختارة من العصور الهلنستية والرومانية في مدينة عسقلان الحديثة

ايلان بيرتس - سلطة الآثار

ترجمة د. وليد أطرش

الشكل 1 - عسقلان، المربع السكني وفيه بنايتان

مقدمة

في هذا المقال سوف أشير إلى البقايا الأثرية الموجودة في مدينة عسقلان، الشبيهة لمعظم مراكز المدن القديمة الموجودة في داخل المدن الحديثة على سبيل المثال: يافا، عكا والقدس. تقع عسقلان القديمة التي استمرت من العصر البرونزي الأوسط حتى الفترة المملوكية (حوالي 1800 قبل الميلاد إلى 1300 ميلادي) في تل عسقلان وهو اليوم حديقة وطنية. تضم مدينة عسقلان الحديثة بداخلها بلدة المجدل، التي أنشأها المماليك وتقع على بعد حوالي 4 كم شرقي الساحل، والتي كانت قائمة حتى عام 1948. كذلك تضم عسقلان القرى المحيطة بها بدأ ببلدة الجورة القريبة من التل، بلدة حممه الواقعة شمال المجدل، بلدة خصاص ونعيله من الجنوب، وقبر الشيخ عوض الواقع على الشاطئ.

هذه القرى والأماكن كانت جزءًا من ضواحي عسقلان وظهيرها الريفي.

تطورت عسقلان سياسيا كمدينة خلال الفترة الهلنستية حتى الفترة البيزنطية المبكرة (من القرن الثاني قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي)، هذا يتجلى في الانتقال التدريجي من الاستقلال الجزئي إلى الاستقلال التام في الفترة الهلنستية وإلى مدينة معفاة من الضرائب في العصر الروماني. سك العملات المعدنية كان أحد الحقوق الرئيسية لعسقلان كمدينة مستقلة «بوليس» أو شبه مستقلة.

كانت لعسقلان كمدينة بحرية لها ميناء أهمية اقتصادية وثقافية في العالم الهيليني - في مجال الفلسفة، كما تنعكس أهميتها الاقتصادية أيضًا في المكتشفات التي تشير إلى محاصيل زراعية التي وردت إليها إضافةً الى إنتاج الحناء لصبغ الشعر وللطب. على وجه الخصوص، تتضح أهمية تطورها الكبير في صناعة النبيذ منذ نهاية العصر الروماني، وبرز خاصة في الفترة البيزنطية.

أجرت سلطة الآثار العديد من الحفريات في عسقلان بين السنوات 2012-2016، أثرت نتائجها على معرفتنا بتاريخها منذ الفترة الهلنستية وحتى فترة الانتداب البريطاني. تلقي هذه المعلومات الضوء على جوانب كثيرة للمدينة مثل: نموذج التخطيط، الشوارع، طرق البناء، الاقتصاد، الطقوس الدينية، القبور وعادات الدفن، والأدوات والأواني المصنوعة

الشكل 2 - بئر من الفترة الهلنستية

الشكل 3 - الجزء الشمالي من المبنى، في الشمال الغربي (الجانب الأيمن من الصورة) فرن وفيه أثار عجم الزيتون والعنب المتفحم

من المواد المختلفة.

الفترة الهلنستية (أواخر القرن الثالث حتى أوائل القرن الأول قبل الميلاد)

أكتشفت في مدينة عسقلان في خمسة مواقع مختلفة بقايا واثار تعود الى أيام حكم السلوقيين (السوريين)، تشير الى استقلالها المبكر كمدينة بوليس. في الجزء الشمالي من المدينة الحديثة، في محيط مدرسة حديثة، تم اكتشاف بقايا من مستوطنة هيلنستية كبيرة (حوالي 20 دونم). تقع هذه مستوطنة على تل يطل على البحر، الى الغرب من قبر الشيخ عوض، على طريق البحر والأراضي الزراعية الممتدة إلى الشرق. وقد كشفت هذه الحفريات عن عدد من المباني الكبيرة وأحياء سكنية (insulas) لمستوطنة مخططة جيدًا، ربما ذات خصائص مدنية، قد تكون تابعة لمدينة عسقلان أو مستعمرة لمستوطنين أجانب. أقيمت هذه المستوطنة عامي 200/198 ق.م، هجرت عام 130 ق.م، ودفنت

الشكل 4 - معصرة العنب من الحفريات التي جرت جنوب مدينة عسقلان

بالرمال مع مرور الزمن. تم الكشف أيضًا عن أجزاء من بنايتان كبيرتان: الأولى مكونة من عدة وحدات بمساحة تزيد عن 700 متر مربع، والثانية تزيد مساحتها عن 400 متر مربع (الشكل 1)، ويفصل بينهما شارع بعرض 4 أمتار.

بجوار البنايتين يوجد بئر ماء يزيد عمقه عن 30 مترا (الشكل 2). تم بناء المباني العامة والمنازل من الطوب المجفف. استخدمت البنايات العامة كمقرات للمسؤولين عن رقابة التجارة، صناعة الحديد، الصيدلة والطب. عثر خلال الحفريات على أوانٍ فخارية مستوردةً ومحليةً مثل: الجرار والأمفورات المستوردة من الجزر اليونانية، قوارير فخارية صغيرة كانت تستخدم بحفظ مواد طبية، أدوات حجرية مصنوعة من الصوان، الرخام والبازلت، أدوات معدنية، عملات نقدية، وزنات من الرصاص، كذلك تم العثور على عجم الزيتون والعنب المتفحم داخل فرن (الشكل 3). تتجلى الهجرة من المستوطنة في اغلاق الكثير من مداخل الغرف من خلال بناء جدران مصنوعة من الطوب كتلك المستخدمة في المباني الأصلية.

تم الكشف عن وجود خمس فترات أثرية: الهلنستية، الرومانية، البيزنطية، العثمانية والأنتداب البريطاني في وسط مدينة عسقلان، بالقرب من مستشفى برزيلاي، في المنطقة المخصصة لبناء مبنى بلدية عسقلان الجديد وعلى الهوامش الشرقية لقرية الجورة. تم العثور على أمفورات مستوردة من الجزر اليونانية وإيطاليا، استخدمت هذه جرار كقبور للأطفال، وهي من أقدم القبور التي تم اكتشافها بالمقبرة الواقعة شرقي تل عسقلان والتي تعود الى الفترة الهلنستية (القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد).

تم اكتشاف بقايا من الفترات الهلنستية والرومانية المتأخرة في حي أجميم الواقع في جنوب عسقلان، غربي قرية نعليه، في المنطقة الواقعة جنوب شرق خربة خصاص. شملت هذه المكتشفات معصرتين لإنتاج النبيذ، هياكل ذات صلة مثل وحدات تخزين لمنتجات تلك المعاصر،

وتم التخلي عنهم على ما يبدو في أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد. معصرة العنب كانت مخططة جيدًا، مبنية من طبقة ملاط مكونة من الشيد والصدف. تعد المعصرة من النوع البسيط المكونه من أربعة أجزاء: حوض الدوس، جرن جمع العصير الكبير، جرن تصفية العصير وجرن جمع العصير الصغير إليه كان يجري العصير من حوض الدَوس قبل عملية دوس العنب (الشكل 4). في حوض الدوس كانت توضع عناقيد العنب، وعليها يتم الدوس بالأَرجل من أجل عصرها. من حوض الدوس الذي يميل قليلاً نحو جرن تصفية العصير الصغير ومن ثم يجري العصير الى جرن جمع العصير الكبير.

خلال البحث الميداني في مدينة عسقلان تتم توثيق ثلاثة أنواع من المواقع الأثرية المؤرخة للعصر الهلنستي: في الشمال بقايا مستوطنة كبيرة ذو صبغة حضرية وحرف، ومنازل متعددة الاستخدامات (مثل المنازل السكنية والتجارية والطبية) وبدون مرافق صناعية زراعية. في الوسط، المقبرة ومن الجنوب، تم اكتشاف جزء من مستوطنة زراعية، ربما كانت مزرعة خاصة. المكتشفات في الموقعين معصرة عنب، عجم العنب والعِمل المعدنية المزينة بعناقيد العنب ربما يشيرون الى صناعة النبيذ الشهيرة التي كانت في عسقلان خلال الفترات الهلنستية، الرومانية والبيزنطية. تم التعبير عن أهمية زراعة العنب وإنتاج النبيذ بشكل فني وديني في الفترة الرومانية.

العصر الروماني (63 قبل الميلاد - 363/395 ميلادي)

في عام 63 قبل الميلاد تم احتلال البلاد على يد القيصر الروماني بومبيوس، لكن الثقافة المادية الرومانية بدأت تتغلغل بشكل أساسي مع صعود هيرودس وتثبيت حكمه في يهودا ابتدءًا من عام 37 قبل الميلاد. تجاوز تأثير حكم ونفوذ هيرودس وأبنائه حدود يهودا، ويذكر المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس (يوسيفوس) مشاريع هيرودس الإنشائية في حدود مملكة يهودا، بما في ذلك عسقلان، التي كانت مستقلة منذ عام 103 قبل الميلاد، وحافظت بشكل جزئي على استقلاليتها بعد احتلالها بيد الرومان. لم نعثر الا على القليل من البقايا التابعة لهذه الفترة، معظمها عبارة عن قبور، أواني فخارية، زجاج وقليل من العملات المعدنية.

خلال أعمال التنقيب في منطقة المرسى تم اكتشاف بقايا مبنى يعود إلى ثلاثة حقبات تاريخية من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي. الحقبة الأولى، المؤرخة الى القرن الأول قبل الميلاد

الشكل 5 - بقايا جدار من العصر الروماني مدموج بحوض من الفترة البيزنطية

الشكل 6 - تاج كورنثي من الفترة الرومانية

وحتى القرن الأول للميلاد تم اكتشاف بئر، أساس بناء مرتفع مربع، مرافق صناعية، أواني فخارية بعضها مطلية ومرسمة تعود للحضارة النبطية، ربما أستعملت لطقوس دينية مرتبطة بالأكل والشرب. الحقبة الثانية، المؤرخة الى القرنين الأول والثاني للميلاد، تم تطوير البناء حول البئر وفي وسطه تم بناء فناء محاط بأعمدة ومن حوله ثلاثة غرف من الجهات الشرقية، الجنوبية والشمالية. الحقبة الثالثة، المؤرخة الى القرنين الثالث والرابع الميلادي، وصل المبنى إلى ذروته وتوسع الى الجهة الشرقية والغربية، تم إضافة درج، بركة داخل الفناء، منشآت مياه إضافية، حوض نصف دائري ومنصة مرصوفة بالفسيفساء. اعتمادًا على تخطيط المبنى واكتشاف قبور شرقه من نفس الفترة يمكننا الجزم أن المبنى في هذه المرحلة استعمل لطقوس جنائزية. قد تعزى المرافق المتعلقة بالمياه إلى عبادة الميومس المرتبطة بديونيسيوس إله الخمر.

تم الكشف عن بقايا مبنى ضخم من الفترة الرومانية (القرنين الأول والثالث الميلادي) في المنطقة الواقعة شمال شرق المرسى، بني جزئيًا من الأحجار المشذبة بعناية وتم تجديده في الفترة البيزنطية (القرن الرابع أو الخامس الميلادي)، حيث رصف بأرضيات الجص والفسيفساء الملون (الشكل 5). جنوب هذا المبنى تم العثور على قسم من مبنى آخر، وجد فيه شظايا جص عليها بقايا رسومات بألوان (فريسكوا) مختلفة وتاج كورنثي مشابه لتلك الموجودة في البازيليكا بتل عسقلان (الشكل 6). تشير جميع هذه المكتشفات إلى أن هذا المبنى كان كبير وربما كان له وظيفة عامة.

بين القبور التي تم الكشف عنها في قرية الجورة، يجب التطرق إلى قبر من العصر الروماني المتأخر والذي استمر استعماله مع تغيرات طفيفة حتى العصر البيزنطي. هذا القبر جزء من مقبرة كبيرة تحتوي على أدلة ملموسة على أنشطة وفعاليات مجتمع يعبد ديونيسيوس اله الخمر، والذي يتجلى في مقبض برونزي وأرضية الفسيفساء. هذا المقبض الذي وجد في القبر مزين بتمثال فهد ورأس ستير أو من قبل بانثر أو ديونيسيوس نفسه (الشكل 7). أرضية الفسيفساء، المزينة بثمرة صنوبر مزخرفة باللوحات الموجودة في المقابر مرتبطة أيضًا بطقوس عبادة ديونيسيوس المتعلقة بالنبيذ التي اشتهرت فيه مدينة عسقلان، والذي يرجع أساسًا إلى العصور الهلنستية والرومانية ووصل ذروته في الفترة البيزنطية.

يعرض هذا المقال باختصار تطور مدينة عسقلان من الفترة الهلنستية إلى نهاية الفترة الرومانية، البنية، التنمية الاقتصادية والثقافية الاجتماعية. وهذا التطور كان الأساس للبنية التحتية المادية للازدهار الاقتصادي والعمراني الكبير لمدينة عسقلان في العصر البيزنطي. استمرت أهمية مدينة عسقلان في الفترة الإسلامية المبكرة وصداها تجلى عبر المصادر العربية الأولية.

الشكل 7 - مقبض إبريق برونزي مزخرف بتمثال فهد وستير رمز ديونيسيوس.

تل السبع العصر النحاسي (الخاكوليثي): تحت الأرض

وفوق الأرض في الثقافة الغسولية

مارتن ديفيد باسترناك - سلطة الآثار

الشكل 1 - خريطة توجيه.

مقدمة

تل السبع النحاسي يقع في الركن الشمالي الغربي لبلدة تل السبع، على منحدر يميل بشكل معتدل نحو وادي الخليل (الشكل 1). أجرت سلطة الآثار في المنطقة مسوحات عديدة وتنقيبات أثرية. تم الكشف خلالها عن فتحات لمنظومة تحت الأرض وحفر تعود إلى أواخر العصر النحاسي. هذه المقالة هي ملخص أولي لمواسم الحفريات الثلاثة التي انتهت قبل فترة وجيزة.

الثقافة الغسولية بالقرب من وادي بئر السبع

تم اكتشاف الثقافة الغسولية (على اسم موقع تليلات الغسول) في أواخر العشرينات من القرن الماضي، وهي الثقافة الأكثر شيوعًا في العصر النحاسي. وانتشرت في مناطق وادي الأردن والأراضي الساحلية والنقب الشمالي والغربي. كما اكتشفت هذه الثقافة أيضًا في الخمسينات من القرن الماضي على يد جان بيرو في مواقع بئر السبع، أبو مطر وبئر صفد. تمتاز هذه الثقافة في النقب الشمالي والغربي بمنظومات تحت الأرض، المحفورة في التربة الصلبة الطبيعية، والتي يعود تاريخها إلى الألف الخامس قبل الميلاد.

الثقافة الغسولية بجوار وادي الخليل

أجريت في الماضي عدة حفريات أثرية في المنطقة. في سنوات التسعين وأوائل الألفية الثانية، ثم جرت حفريات على بعد حوالي 300 مترًا جنوب غرب الحفريات الحالية، وتمّ العثور على حُفر للنفايات وتجاويف تحت الأرض. في عام 2009، أجرت سلطة الآثار مع قسم الآثار في جامعة بن غوريون حفريات إنقاذ مشتركة، تم فيها حفر ثلاث مناطق وعثر فيها على بقايا مبانٍ من الحجارة والطوب، ومنظومات جوفية تحت سطح الأرض. كما عثروا على آبار جرسية الشكل، كانت بمثابة أوعية للقمامة، وحُفر مختلفة استخدمت كأوعية للإعداد الصناعي وحُفر للطبخ. في عام 2013، أجرت سلطة الآثار حفريات إنقاذ أخرى على بعد 50 مترًا جنوب الحفريات السابقة وفيها تم العثور على منظومات أنفاق تحت الأرض وآبار جرسية الشكل. في عام 2016، أجريت عملية تنقيب في وادي الخليل بالقرب من مفرق شوكيت.

أنماط الاستيطان

ستتطرق المقالة إلى ثلاثة أنماط من الاستيطان التي تم فحصها في تل السبع من الفترة النحاسية، والتي حدّدها المؤلف على النحو التالي:

الشكل 2 - المنطقة (ب)، مبنى فوق الأرض.

الاستيطان فوق الأرض، والاستيطان شبه الجوفي والاستيطان تحت الأرض. استخدمت في هذه الأنماط الثلاثة التربة الصخرية الصلبة والمستقرة، كجدران للتجويفات تحت الأرض وايضاً مصدر للطوب.

البقايا فوق الأرض

تم الكشف في المناطق الثلاث (أ، ب، ج) عن بقايا، المتمثلة بشكل رئيسي بآبار قمامة ومناطق النشاط. الآبار مستديرة الشكل او/ وبيضوية.

كُشف في المنطقة (ب) عن بقايا الجزء الغربي من مبنى دائري صغير مكون من طابق واحد، وفي داخله منطقة نشاط. بُني المبنى من حجارة حقلية متوسطة الحجم غير مهذبة وطوب طيني. يوجد داخل المبنى 6 حُفر ضحلة تم حفرها في الحجر الصلب الطبيعي، وهي حُفر نشطة لكنها ذات خصائص مختلفة (الشكل 2). قطر الحُفر يتراوح من 0.40 م إلى 0.90 م، وجميعها ذات جدران ترابية طبيعية (ما عدا واحدة ذات جدران من الطوب الطيني) ومليئة بالرماد. كافة الحُفر مستديرة الشكل، سوى الحُفرة رقم 6، وهي بشكل بيضاوي وجدرانها من التربة الطبيعية وعليها علامات الاحتراق، وبداخلها كمية كبيرة من الصوان المحروق.

الشكل 4 - المنطقة (ب)، شبكة نصفها تحت الأرض.

الشكل 3 - المنطقة (ب)، مبنى فوق الأرض.

اكتشف في الجانب الشمالي الغربي مبنى آخر يتميز بجدران من الحجارة الحقلية المتوسطة والكبيرة والطوب. داخل المبنى أرضية من التربة المتراصّة مع بعض المواد. يؤدي المبنى إلى ممر من الطوب الطيني ويؤدي إلى مدخل التجويف تحت الأرض (الشكل 3).

تمّ الكشف عن منطقتين إضافيتين للنشاط على السطح. يتميز إحداها بحفرة مستديرة تم حفرها في التربة الطبيعية، وفيها حفرتان أخريان. عمق الحفرة هو 0.50 مترًا، بينما الحفرتان الإضافيتان يبلغ عمقهما 0.30 مترًا حفرت في الصلصال الطبيعي، وبداخلها مادة محروقة من الخزف والصوان، وعدد قليل من عظام الحيوانات. تقع منطقة النشاط الثانية على نحو 10 أمتار جنوب غرب المبنى المستدير، ويشمل خصائص مماثلة لمنطقة النشاط السابقة: حفرة بيضاوية محفورة بالصلصال الطبيعي، في داخلها ثلاث مناطق نشاط مستديرة تشمل الرماد والخزف والصوان.

اما في المنطقة (ج)، فقد تمّ الكشف عن جزء من طبقة المعيشة على التربة الطبيعية، مع حفرتين ضحلتين في التربة الطبيعية. قد تكون منطقة نشاط على الأرض، حيث استخدمت الحفرتان لإلقاء القمامة (وفي داخلهما كمية كبيرة من مواد الحشو المخلوطة بحطام الفخار،

الشكل 5 - المنطقة (ج)، شبكة نصفها تحت الأرض.

الشكل 6 - المنطقة (أ)، شبكة تحت الأرض.

الصوان والعظام). على بعد 5 أمتار إلى الشمال الشرقي عثر على منطقة نشاط أخرى يبلغ قطرها 0.60 مترًا، والتي تتميز بالحجارة الصغيرة غير المهذبة. بجانبها (حوالي 1.5 مترًا غربًا) وجدت حفرة بقطر 1.3 مترًا وعمق 0.85 مترًا حفرت في التربة الطبيعية وعلى جدرانها كتل من الطوب الطيني. وفي داخلها عدد كبير من الأواني الحجرية، الفخارية وأدوات الصوان.

احتوت المنطقة (أ) على حفرة جرس كبيرة، الوحيدة في المنطقة كلها. تتميز الحفرة التي تمّ حفرها في التربة الطبيعية بشكل الجرس، بعمق 1.5 مترًا. في داخلها كمية كبيرة من الرماد، حشو الصلصال، الفخار، الصوان والعظام المحترقة.

بقايا شبه جوفية

تبدو هذه الظاهرة في المناطق (ب) و(ج) وتتميز عن مناطق اخرى محفورة في التربة الطبيعية، فهي ليست تجاويف تحت الأرض بل منخفضات غير منتظمة يصل عمقها إلى 1.5 مترًا. ربما كانت مسقوفة واستخدمت كمناطق نشاط في الحُفر الضحلة.

الشكل 8 - المنطقة (ب)، مدخل إلى قاعة تحت الأرض بواسطة الدرج.

الشكل 7 - المنطقة (ب)، فناء في شبكة تحت الأرض.

ظهر في المنطقة (ب)، المثال الأكثر وضوحًا لهذه الظاهرة، فهذا التجويف محاط في الجزء الشمالي منه بجدار مبني من أحجار الحقل المتوسطة. يحيط التراب الطبيعي بالجوانب الغربية والشرقية للتجويف. تتكون أرضية التجويف من التربة المرصوفة، وعليها الفخار. وفي الموقع عدد من الحُفر النشطة (الشكل 4). الحفرة في أقصى الغرب بيضاوية، وقطرها 1.30 مترًا وفيها الفخار، الصوان والعظام المحروقة.

هذه الحفرة مجاورة للحدود الغربية في التجويف (والذي يتميز بالتربة الطبيعية) وتظهر على جوانبها آثار الحرق. بعد نصف متر إلى الشرق هناك حفرة أخرى مستديرة، قطرها 0.55 مترًا. توجد في الجانب الجنوبي من شبه التجويف الأرضي، فراغ صغير تحت الأرض بعمق 0.85 مترًا، ويحتوي هذا الفراغ على ثلاث حفر إضافية مملوءة بالرماد، الفخار والصوان. تمّ الحفاظ على سقف الفراغ وهو من التربة الطبيعية. يبدو أن المنطقة الجنوبية كلها هي منطقة نشاط، وكانت معددة لأغراض الطهي.

اكتشفت شبكة نصف جوفية في المنطقة (ج)، تنقسم إلى تجويفين (غربي وشرقي) محفورة في التربة الطبيعية. اتصل القسمان ببعضهما بممر تم سدّه لاحقًا بالطوب والحصى. التجويف الغربي مستدير الشكل

الشكل 9 - المنطقة (ب)، نظرة داخل الشبكة تحت الأرض.

الشكل 10 - المنطقة (ب)، مدخل لجحر تحت الأرض.

وغير منتظم (قطره 2.2 مترًا، عمقه 1.10 مترًا) محفور في التربة الطبيعية. تتميز أرضه بالتربة الطبيعية مع كمية كبيرة من الفخار والصوان، اما التجويف الشرقي له فهو شكل دائري (قطره 2.0 مترًا، وعمق 1.10 مترًا) محفور في التربة الطبيعية (الشكل 5). الجدران الغربية مبنية من الطوب الطيني، انهار بعضها نحو الشرق. وتتميز أرضية التجويف بالتربة الطبيعية. وفيه منشأة مبنية من حجارة الحقول المتوسطة مع طوب الطين وفي داخله شظايا قنينة كبيرة.

البقايا تحت الارض

هذا النوع من الاستيطان يتجلّى في شبكة تحت الأرض، ومداخل معظمها فوق الأرض، وهناك ممر يؤدي إلى التجويف الأرضي، قاعة (مفتوحة / مغلقة) وجحور تؤدي إلى شبكات أخرى تحت الأرض. يمكن رؤية مثال على هذا النظام في المنطقة (أ)، حيث كشفت قاعة مفتوحة يبلغ عمقها 2.5 مترًا مع مدخل، من خلال منحدر متدرّج تم حفره في التربة الطبيعية. ذات القاعة، المحفورة في التربة الطبيعية مستديرة، وتغطي جدرانها حيطان من حجارة الحقول الصغيرة والطوب الطيني (الشكل 6). حفرت في القاعة حفر نشطة صغيرة، واكتشف فيها الفخار، الصوان والعظام المحروقة.

ظهر على أرضية القاعة المتكونة من التربة الطبيعية، جرة كبيرة وقدور. اما في الطرف الشرقي للقاعة بقي ممرّضيق محاط بجدران من الحجارة الصغيرة، الطوب الطيني. يؤدي الممر إلى تجويف تحت الأرض، تم كشف مدخله فقط، وحدوده الشمالية من التربة الطبيعية مدعومة بجدار من طوب الطين. وظهرت أيضا مداخل للشبكات تحت الأرض في المنطقة (أ) بدون ممرات أو قاعات: في الطرف الجنوبي الغربي من المنطقة ظهرت حفرة، تم سدّ طرفها الشرقي بسبب الاضطرابات اللاحقة. يبلغ عمق الحفرة حوالي 1.5 مترًا في التربة الطبيعية.

اما في المنطقة (ب)، فقد حفظت الشبكات الأكثر بروزًا. هناك منطقتان: المنطقة الأولى عبارة عن فناء كبيرلشبكة تحت الأرض، تقع شرقه وشرق القاعة نفسها. يتميز هذا الفناء بطبقة من التربة المرصوفة، بعضها مغطى بالخشب بسبب النشاط المائي، مما يشير إلى فناء مفتوح (الشكل 7). تحيط بهذا الفناء حدود واضحة بالتربة الطبيعية. اما المنطقة الثانية تؤدي إلى تجويف محفور تحت الأرض في التربة الطبيعية، ويصل عمقه إلى 2.5 مترًا. تمّ حفر هذا المدخل كالدرج في التربة الطبيعية على شكل جحر يؤدي شمالًا وشرقًا إلى تجويف واحد كبير.

يتميز التجويف الآخر بمدخله عبر ممر ضيق، محاط بحائطين من طوب الطين. يؤدي الممر إلى درجات مبنية من حجارة الحقل والصوان غير المنحوت، وتتجه الدرجات نحو الأسفل لتؤدي إلى الشبكة تحت الأرض، وتمتد حتى فتحة شبكة أخرى تتسع شمالًا وشرقًا. تم اكتشاف منطقة نشاط في الشبكة (الأشكال 8 و9). تمتد الشبكة شمالا، حتى فتحة أخرى بالشبكة أكثر عمقًا. وتمتد الشبكة شرقًا من خلال الجحر الذي يؤدي إلى التجويف (أ) قطره 4.5 مترًا، ومنه إلى تجويف آخر محفور أيضًا في التربة الطبيعية، ولكن مع إضافات اخرى بواسطة حائط مبنيّ من أحجار الحقل المتوسطة الحجم، والطوب الطيني على حدوده الجنوبية. تمّ العثور في التجويف ذاته على جرّة فخار كبيرة. واكتشفت فتحة صغيرة أخرى في الجهة الجنوبية الشرقية منه، مما أدى إلى تجويف آخر يبلغ عمقه 3.0 أمتار وشكله مشابه للجرس.

عدا التجويف تحت الأرض، تم اكتشاف مدخلين آخرين في المنطقة (ب). ففي الطرف الجنوبي الغربي من المنطقة وجد مدخل متدرّج يؤدي إلى قاعة محفورة في التربة الطبيعية، التي يبلغ عمقها 2.5 مترًا والتي تؤدي إلى تجويف تحت الأرض. بالإضافة إلى ذلك، في الطرف الشمالي الشرقي من المنطقة، عثر على فتحة لتجويف إضافي بعمق 2.0 مترًا (الشكل 10).

تتميز الشبكات تحت الأرض في المنطقة (ج)، بطبقتين مزدوجتين ومتراصّتين. تعرض هذه المقالة، النتائج الأولية للحفر، بحيث لن نناقش فيها طبقات الموقع والشبكات في المنطقة (ج) بل نتطرق إليها بشكل أولي. تتميز الشبكة الأولى بفتحة رئيسية تميل على منحدر محفور في التربة الطبيعية، وتؤدي إلى قاعة تحت الأرض يبلغ قطرها أكثر من 5 أمتار. وتتميز أرضية القاعة بطبقة رقيقة من الأرض الرمادية. في الجهة الشرقية للقاعة ثمة فتحتان تؤديان إلى جحور تحت الأرض. كما تتميز الشبكة الثانية بقاعة تحت الأرض للمرحلة القديمة المغطاة عمدًا. أدى هذا الغطاء إلى بناء شبكة جديدة تحت الأرض، وحفرت فيها حفرة أصغر (قطرها 2.5 مترًا) في تربة التعبئة غير المستقرة. من أجل الحفاظ على ثبات الفراغ الجديد، بنيت جدران حول الحفرة من الطوب الطيني

الشكل 11 - المنطقة (ج)، نظرة إلى مرحلتين في الشبكات تحت الأرض.

وأسس الحجارة الحقلية المتوسطة والكبيرة (الشكل 11). يقع مدخل الفراغ في نفس موقع المدخل السابق، والذي ينحدر باتجاه الشمال، جرى تحديثه بإطار من الحجارة الصغيرة والكبيرة - وانتصب حجران كبيران من الصوان على المدخل كالحارسين. هذا الفراغ عبارة عن ممر يضيق نحو الشمال بطول 2.30 متر ويتسع إلى قاعة تحت الأرض وحدوده تربة طبيعية (الشكل 12).

الخلاصة

تم تعريف ثقافة بئر السبع في العصر البرونزي في خمسينات القرن الماضي، وفقًا لنتائج الحفريات الكبيرة التي جرت في أبو مطر، خربة

الشكل 12 - المنطقة (ج)، نظرة إلى الشبكات تحت الأرض.

بيطر وبئر الصفدي في بئر السبع. وتشمل خصائصها الاستيطان الريفي ونمط رعاية الماشية وزراعة الحبوب. ميزة فريدة هي التنقيب عن الغرف تحت الأرض المستخدمة لأنواع كبيرة من الأنشطة. كشفت الحفريات الحالية قسمًا هامًا من موقع العصر البرونزي الذي بدأ اكتشافه منذ عام 2009، وهو ما يمثل الحدود الشمالية باتجاه مجرى الوادي. وظيفة الشبكات تحت الأرض هي مدار نقاش واسع يشير إلى استخدامها للسكن أو التخزين. الشبكات الموجودة في الحفريات الأخيرة في تل السبع لها حالة ثابتة: الدخول إلى السطح أو الممر أو الدرجات المؤدية إلى قاعة تحت الأرض كذلك الجحور التي تحت الأرض. يبلغ عمق بعض الجحور حوالي 3 أمتار ولم يتم اكتشاف أي جحر صغير يسمح بدخول الهواء. من ناحية أخرى، فإن تلك الشبكات الغنية بالنتائج، سواء كانت للتخزين أو الاستعمال. على الرغم من أن تحليل الفخار تمّ فقط على مستوى الفرز الأولي، يمكن القول إن كمية الأباريق تساوي تقريبًا كمية الأطباق-V. إن التجاويف المحفورة في التربة الطبيعية هي ذات مجموعة متنوعة من الوظائف: بعضها حفر للنفايات، بعضها يستخدم كجهات محورية وبعضها الآخر كما يبدو لتسخين الصوان، بحيث تمّ العثور على كمية كبيرة من الصوان المحروق في الداخل.

الصورة واضحة في تل السبع البرونزية: إنه موقع ذو أبعاد كبيرة مع مجموعة من الشبكات تحت الأرض ذات أنواع من الأنشطة المختلفة المتعلقة بالتخزين والسكن.

«كنت سعيدًا هنا قبل ولادتي»: تقلبات عن أنواع الثدييات في البلاد مدى 10.000 سنة الماضية

د. غاي بار- عوز ود. ليؤر فايسبورد - معهد زيسمان للآثار، جامعة حيفا

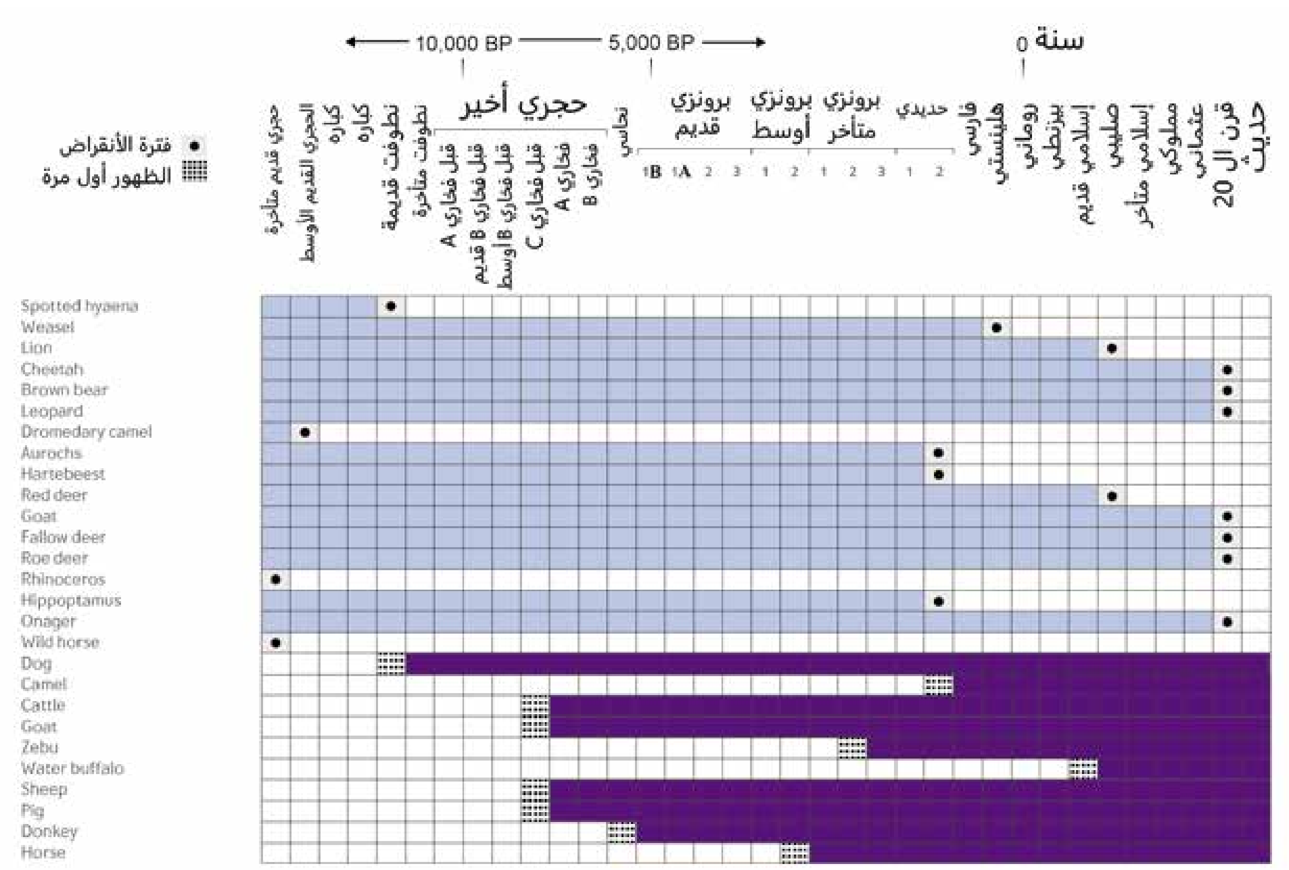

الشكل 1 - ظهور/ انقراض أنواع الحيوانات المدجّنة والبرية (العاشبة والمفترسة) بين نهاية العصر الجليدي واليوم.

مقدمة

خلال فترة الهولوسين (من 11،700 سنة قبل أيامنا)، طرأ ازدياد على معدل انقراض أصناف الثدييات مقارنة مع فترة العصر الجليدي الطويل السابق (من 2.5 مليون إلى 11،700 سنة)، وكذلك هناك ميل نحو النقص في التنوّع البيولوجي. إن الانقراض على نطاق واسع لأنواع الثدييات، وخاصة الثدييات ضخمة الحجم، معروف في أمريكا الجنوبية والشمالية وفي أستراليا قرب نهاية العصر الجليدي وبداية الهولوسين، حينها اختفى أكثر من ثلثي الثدييات الضخمة التي يزيد وزن جسمها عن 10 كيلوغرامات. بالمقابل، فإن معدل الانقراض في الشرق الأوسط أقل نسبيًا، ويتعلق خاصة بالانقراض على نطاق محلي، للأنواع التي لا تزال موجودة في مناطق أخرى. إضافة إلى ذلك، ظهرت في بداية الهولوسين، عدة أنواع جديدة في الشرق الأوسط، التي أحضر بعضها البشر من المناطق المجاورة، أو خضعت للاختيار الثقافي المحلي، وفُصلت عن سكان البرّية (أي الأنواع المدجّنة). وتظهر التقلّبات البيئية في منطقتنا بدقّة عالية وبتوسع. سندرس لاحقًا العلاقة بين أحداث الانقراض، وبين التغيرات التي حدثت في تضاريس البلاد، خلال الهولوسين تحت تأثير البشر، والتي تشمل النمو السكاني وزيادة التعقيدات الاجتماعية، وتوسيع النشاط الزراعي والصناعي. وأظهرت دراسة المناخ القديم أنه أثناء فترة الهولوسين، أصبح المناخ الإقليمي أكثر جفافًا، وانخفضت حدّة التنقلات وتباطأت بشكل ملحوظ، مقارنة مع فترة العصر البليستوسين.

تقع أرض فلسطين عند تقاطع جغرافي بيولوجي فريد، في لقاء بين القارات والبيئات المناخية المختلفة. وقد ساهمت هذه الظروف على تطوير نسيج غني بظروف التربية، لمجموعة كبيرة ومتنوعة من الحيوانات، التي تمتد منطقة انتشارها اليوم عبر قارات ومناطق مناخية مختلفة. وتشكّل مساحة فلسطين منطقة الأطراف الجنوبية للأنواع الأوروبية (أنواع الغابات مثل الثور البري، الأيل الأحمر وأيل الكرمل)، أما أطراف الانتشار الشمالي للأنواع العربية الصحراوية (غزال النقب، الرئم والجاموس)، وكذلك أطراف الانتشار الغربي للأنواع الآسيوية

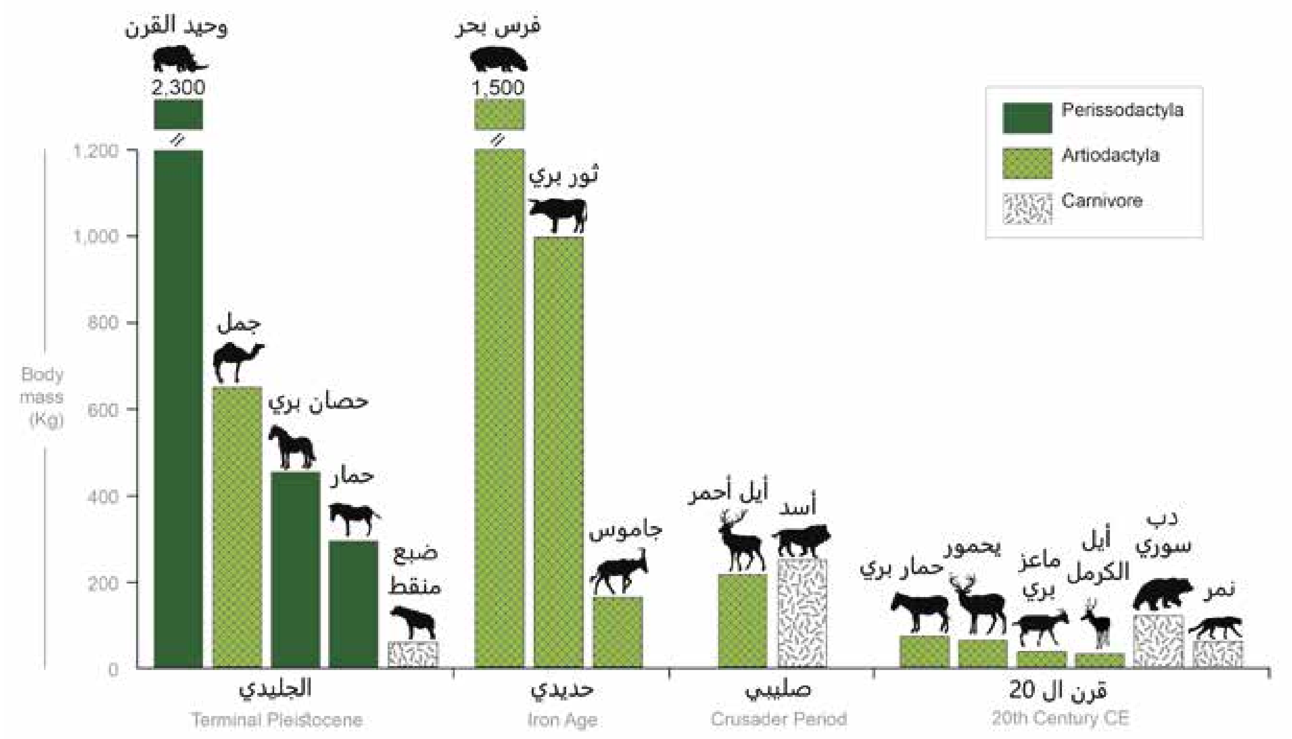

الشكل 2 - بيانات لأنواع الثدييات العاشبة والمفترسة المنقرضة من المنطقة، بين نهاية العصر الجليدي والحاضر.

(اليحمور الفارسي).

إنّ البيانات التي نستخدمها لدراسة التغيرات، التي طرأت على تكوين مجتمع الثدييات، خلال فترة الهولوسين، هي جزء من قاعدة البيانات لمختبر علم الآثار في معهد زينمان للآثار في جامعة حيفا (800 تقرير أثري حيواني من أكثر من 500 موقع). تمّ جمع هذه البيانات أثناء البحث عن بقايا الحيوانات من المواقع الأثرية - بقايا الأثار الحيوانية - طيلة أكثر من 80 عامًا من الأبحاث في فلسطين، تراكمت في هذه المواقع في مراحل الترسيب، وتنقسم إلى نوعين أساسيين: الأول هو نتيجة النشاط الإنساني، الذي شمل صيد الحيوانات البرية، أو تربية الحيوانات الأليفة المدجّنة، والثاني ناجم عن العمليات غير البشرية والمتعلقة بنشاط الحيوانات المفترسة، التي استخدمت، في أوقات مختلفة، الموقع الأثري (في الكهوف أو المباني المهجورة) كملجأ، وأحضرت إليها بقايا فرائسها – التي شملت بقايا الثدييات الصغيرة.

نقارن هنا البيانات بين نوعين من الثدييات: الثدييات الضخمة والصغيرة، التي يعتمد فصلها على مؤشر حجم الجسم (أكبر أو أصغر من كيلوغرام واحد) وعلى الخصائص المناخية المختلفة، حيث أن الثدييات الكبيرة هي ذات عمر طويل نسبيًا، ووتيرة تكاثرها منخفضة، بينما على عكس الثدييات الصغيرة ذات الفترة الحياتية القصيرة، ووتيرة تكاثرها العالية. ونظرًا لهذه الخصائص المختلفة، غالبًا ما تكون الأنواع الكبيرة أكثر حساسية من الأنواع الصغيرة للتغيرات الناجمة عن التأثير البشري، أو تغيرات المناخ داخل بيئتها الطبيعية. كان تأثير الإنسان على أنواع الثدييات الكبيرة مباشرًا (الصيد مثلا) وغير مباشر، من خلال تغيير المشهد الاستيطاني والزراعي. ومن ناحية أخرى، تأثرت الثدييات الصغيرة بالنشاط البشري بشكل غير مباشر فقط.

تستند البيانات الأثرية الحيوانية التي اختيرت لهذا الاستعراض، إلى مجموعات كبيرة نسبيًا، ذات عدد كبير من البقايا، تلك التي تم جمعها من مواقع أثرية، كانت موجودة لفترات طويلة من الزمن، ويتميز معظمها بتكوين الأصناف التي تميز استيطان الرعاة والمزارعين، بما فيها بقايا الحيوانات البيتية (الماعز، الأغنام، الأبقار والخنازير)، إلى جانب عدد صغير من بقايا الحيوانات البرية التي جرى اصطيادها. كما أشرنا إلى عدد من المحتويات التي جمعناها من مواقع نهاية العصر البليستوسين، قبل ظهور الزراعة في المنطقة، والتي شملت بقايا الحيوانات البرية فقط. بالإضافة إلى ذلك، ومن أجل إمكانية دراسة اتجاهات التغيير في تكوين وتنوع الثدييات على امتداد الزمن، فيما يتعلق بالعمليات التاريخية المختلفة، قمنا بتقسيم البيانات وفقًا لفترات مختلفة من فترة الهولوسين، التي تمثل تسلسل الحضارات الأثرية في المنطقة التي تشمل العصور: الحجرية القديمة، الحجرية الحديثة، النحاسية، البرونزية، الحديدية، الفارسية، الهلنستية، الرومانية، البيزنطية، الإسلامية، الصليبية، العثمانية والحديثة (الشكل 1). تم جمع البيانات عن الانقراض في العصر الحديث من مصادر تاريخية. تسمح لنا خصائص البيانات المحددة بفحص التطورات في التسلسل الزمني بدقة وتفصيل عاليين.

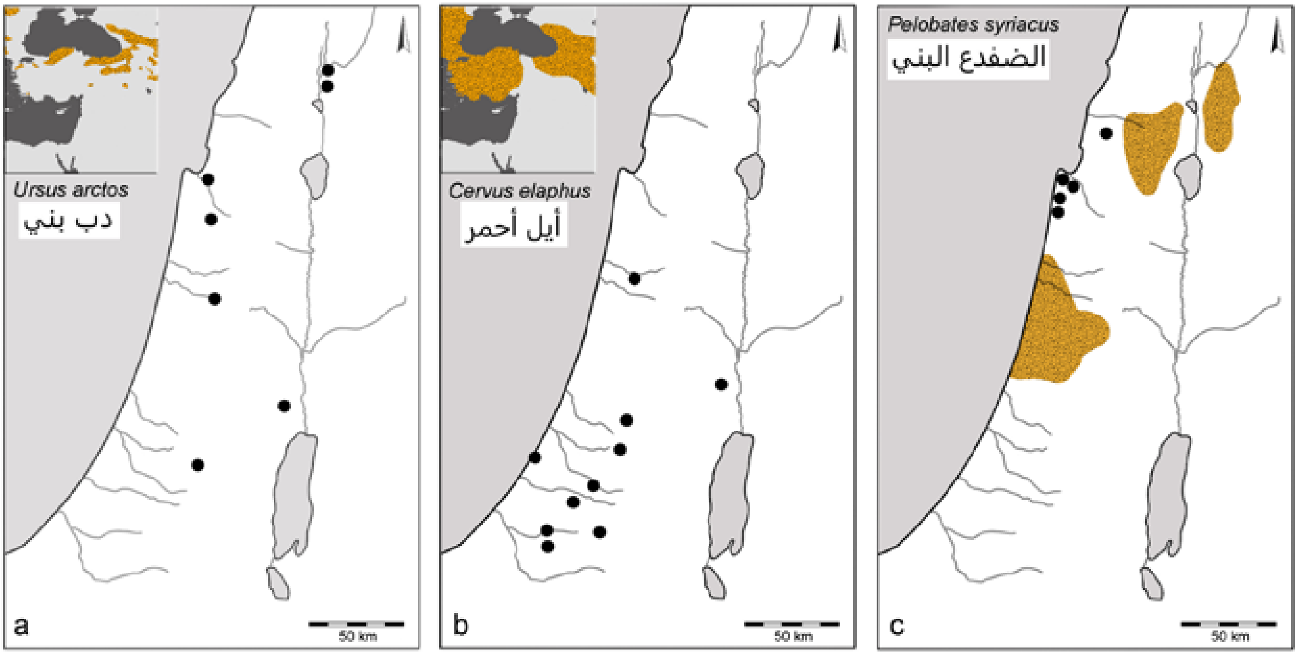

الشكل 3 - خرائط الانتشار لأنواع مختارة في نهاية العصر الجليدي مقارنة مع اليوم.

ديناميكا الانقراضات المحلية بين أنواع الثدييات الضخمة

ملخّص التغييرات الرئيسية التي طرأت على تكوين أنواع الثدييات في فلسطين، على مدى العشرة آلاف سنة الماضية (الشكل 1) يكشف عن ما يقارب 30 نوعًا من الثدييات المتوسطة والضخمة التي كانت موجودة في نهاية فترة العصر البليستوسيني، بقي نصفها فقط حتى العصر الحديث. اختفت خمسة أنواع من المنطقة قبيل نهاية عصر البليستوسين و12 صنفًا آخر أثناء المراحل اللاحقة من فترة الهولوسين. ووفقًا للأدلة التاريخية، لوحظ العديد من هذه الأنواع في المنطقة حتى نهاية القرن التاسع عشر أو مطلع القرن العشرين، إذ انقرضت من المنطقة معظم أنواع الحيوانات العاشبة والحيوانات المفترسة الضخمة التي يبلغ وزنها 10 كيلوغرامات وأكثر. وللمقارنة نشير إلى أنه في المليون سنة التي سبقت الفترة التي نتحدث عنها، فإن أكبر مجموعات الثدييات في فلسطين، فقدت ما يقرب من 30 نوعًا، أي ضعف ما كانت عليه في آخر 10 آلاف عام. وتؤكد دينامية انقراض الثدييات في منطقتنا، أنها لم تقع دفعة واحدة، ولكنها حدثت على دفعات منفصلة، وشكّلت جزءًا من عملية طويلة الأمد، التي تأثرت في كل مرّة بعوامل تاريخية مختلفة. وأثّرت هذه الانقراضات المحلية في كل فترة، على كل النسيج المناخي الإقليمي إجمالا، بحيث تضمّنت أنواع الحيوانات المفترسة وأصناف فرائسها (العاشبة).

لم يكن انتشار أحداث الانقراض طوال فترة الهولوسين متجانسًا. ويوضح الشكل 1 وقوع حدثين رئيسيين للانقراض وحدث ثالث أصغر نسبيًا، يشمل عددًا صغيرًا من الانقراضات. فقد وقع حدث الانقراض الأول أثناء الألف الأول قبل الميلاد، في المراحل اللاحقة من العصر الحديدي (أوائل القرن الثامن قبل الميلاد)، وشمل انقراض ثلاث حيوانات ضخمة ذات الظلف (الثور البري، الجاموس وفرس البحر). وفي حدث آخر، في مطلع الألف الثاني للميلاد، وخلال الفترة الصليبية، كانت نسبة الانقراض محدودة، وشملت واحدًا من ذوات الظلف (الأيل الأحمر) ونوع واحد آخر من الحيوانات المفترسة (الأسد). أما حدث الانقراض الأخير فقد وقع في أوائل القرن العشرين، ويعرف بشكل أساسي من المعلومات التاريخية. فانقرضت في هذا الحدث ثلاثة من ذوات الظلف المتوسطة (اليحمور الفارسي، أيل الكرمل والماعز البري) ونوعان مفترسان (الدب والفهد).

يمكن الملاحظة أن حدوث الانقراضات الرئيسية جرى خلال فترات عدم الاستقرار السياسي وانعدام الحكم المركزي، الذي ساهم في زيادة ضغط الصيد على تجمعات الحيوانات البرية المحلية. يبدو أن عمليات الانقراض هذه كانت مرتبطة بشكل أساسي بالعمليات الاجتماعية الواسعة التي ميّزت المنطقة في الفترات المختلفة. إذ تميز منتصف العصر الحديدي بالتوسع الملحوظ في انتشار الاستيطان وزيادة النشاط الزراعي. كما تميّزت الفترة العثمانية، وإلى حدّ ما الفترة الصليبية التي سبقتها، بعدم الاستقرار السياسي، أو ضعف الحكومة المركزية، في عملية يمكن أن تؤدي إلى زيادة في معدل الصيد غير المراقب. وأدى إدخال الأسلحة النارية إلى المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر إلى الصيد على نطاق لم يسبق له مثيل.

يمكن العثور على مزيد من المدلولات حول أسباب نمط وقوع الانقراض، خلال عصر الهولوسين المتأخر، وذلك من خلال العلاقة بين

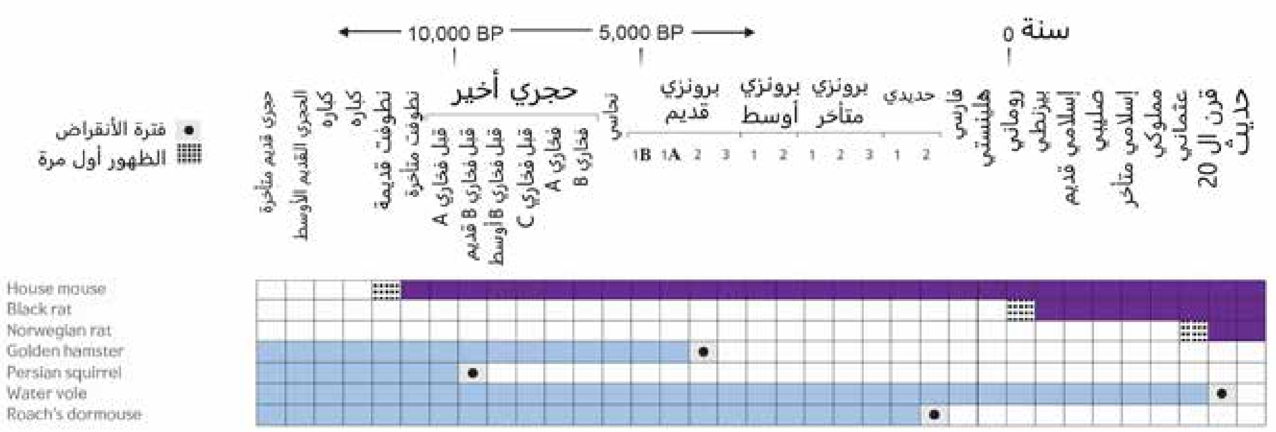

الشكل 4 - ظهور/ اختفاء أنواع الثدييات الصغيرة بين نهاية العصر الجليدي والحاضر.

حجم الأنواع المختلفة وفترة انقراضها. أول الأنواع التي انقرضت خلال هذه الفترة كانت الأنواع ذات الأحجام الضخمة (الشكل 2)، وتشمل الثور البري، فرس النهر، والجاموس الذي اختفى في حدث الانقراض من العصر الحديدي. إن تكاثر الأنواع ذات الأجسام الضخمة بطيء نسبيًا، ووتيرة انتشارها منخفضة، تحتاج إلى مناطق معيشة واسعة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الحد الأدنى لأعداد الحيوانات، الذي يمكن أن تستمر فيه بالحياة، والمحافظة على مستوى التباين الوراثي اللازم للمجتمع المستدام مرتفع نسبيًا، مقارنة مع الأنواع ذات الأحجام الجسدية الصغيرة. لذلك، كانت الأنواع الضخمة ذات الظلف في العصر الحديدي هي الأكثر حساسية لعمليات تغيير المشهد تحت تأثير البشر، والتي شملت تقليص مساحة المعيشة وفقدان أجزاء من مأواها نتيجة لتوسع مناطق الاستيطان البشري والزراعة.

يوضح الشكل 3 مناطق إعادة الانتشار المستعادة، للعديد من الأنواع المنقرضة من المنطقة، (الغزلان الحمراء والدببة) أو التي تقلّصت ماويها المحلية فقط (نوع حفار – الضفدع البني). كما يوضح عملية تجزئة مساحة المعيشة، وتراجع منطقة الانتشار في أعقابها. لقد اختفت بقايا أنواع الثدييات الضخمة أولاً من مناطق فلسطين، التي تشمل الوديان الشمالية، السهل الساحلي، سهل الشارون والأراضي المنخفضة، حيث كان استيطان الإنسان كثيفًا للغاية، ويمكن الافتراض أنه في فترة سابقة نسبيًا، ظهرت منافسة مباشرة بين الاحتياجات البيئية لهذه الأنواع واحتياجات البشرلتوسيع المناطق الزراعية والرعي بمرور الزمن. تبرز صورة مماثلة من ناحية أنواع الحيوانات المفترسة الضخمة، فقد انقرض الأسد، النمر، الفهد، والدب البني من المشهد الفلسطيني، قرب نهاية الهولوسين، خلال الفترة الصليبية أو العصر الحديث (الشكل 1). لا يزال النمر وحده من بين هذه الأنواع موجودًا اليوم في المناطق ذات الكثافة السكانية القليلة، في صحاري النقب ويهودا. يمكن الافتراض أن انقراض الوحوش المفترسة الضخمة وقع نتيجة لقلّة فرائسها، والتي شملت أنواع الكباش والماعز البري، وبالتالي انقراضها. إضافة إلى ذلك، جرت عمليات صيد الحيوانات المفترسة الضخمة ايضا، والتي امتدت طوال معظم الفترات التاريخية.

ظهرت بقايا أنواع حيوانات المزرعة (الماعز، الضأن، الخنزير، البقر) في المواقع الأثرية في فلسطين من الألف التاسع والثامن قبل أيامنا. تم إحضار أنواع مثل الماعز والغنم إلى المنطقة من مراكز التدجين شمال وشرق الهلال الخصيب، بينما تظهر علامات تدلّ على أن أنواعًا أخرى، مثل البقر والخنازير دجّنت في المنطقة. ازدادت بقايا الأصناف المدجنة واتّسع انتشارها، ويمكن الافتراض أنه قد تم خلق منافسة على موارد الرعاية بين الأنواع الزراعية المدجنة، التي يرعاها الإنسان، وبين الحيوانات العاشبة البرية. يُظهر التاريخ المعقد تدخّل الإنسان في تكوين أنواع الثدييات المحلية، عن طريق الفحوص الجينية لشظايا الحمض النووي المبكرة، من بقايا الخنازير في فلسطين. مما يشير إلى أنه تمّ إحضار الخنازير من أوروبا إلى المنطقة خلال الفترات التاريخية، وأن الحمولة الوراثية لهذه الخنازير تم استيعابها في الخنازير المدجّنة والمجموعات البرية للخنازير.

الأنواع التي بقيت لفترة طويلة، وتلك التي لا تزال موجودة في المشهد الفلسطيني حتى يومنا هذا، هي الأنواع ذات الاحتمال العالي للمناخ، بما يتعلق بتأثير تقليص مناطق المعيشة، والتغيرات الأخرى التي أنشأها الإنسان في المشهد. وهكذا، على سبيل المثال، إن ذوات الظلف الصغيرة مثل الغزلان (الغزال الصحراوي والغزال الفلسطيني) تكيّفت لتعيش بجوار مناطق الاستيطان والزراعة للإنسان. كما تكيّفت مثلها مع بيئة الإنسان مجموعة متنوعة من الحيوانات المفترسة، مثل الضبع المخطط وأنواع الكلاب (الذئب وابن آوى والثعلب) وأنواع القطط الصغيرة (قط المستنقع والقط البري) والنمس والسمور، (كلب النهر، الغريروالدلق) التي تتغذى أحيانًا من أنواع الفرائس الصغيرة، المنتشرة في البيئة البشرية ومن النفايات.

أنواع الثدييات الصغيرة

إنّ المعطيات الحالية عن وجود أو عدم وجود أنواع صغيرة من الثدييات، في المواقع الأثرية في فترة الهولوسين، غير كافية لدراسة موثوقة ومفصّلة، بسبب التنقلات التي طرأت على تشكيل وتنوع هذه الأصناف مع مرور الزمن. بيانات النقاط الزمنية التي بحوزتنا هي أساسًا من نهاية فترة العصر الجليدي والعصر الحديدي. يوضح النموذج الوارد في (الشكل 4) عملية تاريخية ومناخية مغايرة بين الثدييات الصغيرة، مقارنة مع ما ظهر في أوساط الثدييات الضخمة. وبالتالي، فإن عدد الأنواع المنقرضة صغير نسبيًا، وهناك بعض الأنواع الجديدة التي احتلت المنطقة. كما احتلّ نوعان اخران من القوارض منطقة نباتات البحر المتوسط في فلسطين، من المناطق القاحلة في نهاية العصر الجليدي - وهو شوك الفار، الذي وصل من صحراء السهارى في إفريقيا وكثبان الرمال الغربية. هذه الأنواع شائعة بشكل رئيسي في المآوي المكشوفة والصخرية. إن انتشار أنواع الثدييات الصغيرة الشائعة في المنطقة، والمدى المفتوح، متعلّق كما يبدو بالتغيرات التي طرأت على مشهد البلاد، نتيجة للعملية الشاملة للاحترار والجفاف، في الانتقال من عصر البليستوسين إلى هولوسين، وكذلك في أعقاب زيادة النشاط الزراعي، وتقليص مساحة الغابات والأحراش في منطقة البحر المتوسط في فلسطين طيلة الهولوسين.

انقرضت أربعة أنواع من الثدييات الصغيرة من المنطقة خلال فترة الهولوسين (الشكل 4). تشمل هذه الأنواع السنجاب الذهبي، الذي تم العثور على بقاياه الأخيرة في فلسطين في مواقع من العصر الحجري الحديث، والهمستر الذهبي، الذي تم توثيقه للمرة الأخيرة في العصر البرونزي القديم، والقواضم الأرضية التي اختفت في نهاية العصر الحديدي، وعكبر الماء الذي ربما نجا حتى بداية القرن العشرين. تشمل مآوي هذه الأنواع مناطق الغابات، ومناطق المستنقعات وضفاف الجداول. تراجع انتشار هذه الأنواع في جميع الحالات شمالًا، ويمكن العثور عليها اليوم فقط في شمال الشرق الأوسط، في شمال سوريا والأناضول وإلى الشمال. من الصعب تحديد التفاعلات بين الحيوانات المفترسة وبين الثدييات الصغيرة خلال الهولوسين. لأنه من بين الحيوانات المفترسة أنواع القوارض، بما فيها الطيور الجارحة والثدييات المفترسة، ومعظم هذه الأنواع التي نجت في المنطقة إلى اليوم، يصعب التقييم ما إذا طرأت تغييرات كبيرة في توازن المفترس والفريسة، وما إذا أثّرت هذه العمليات المناخية على نمط انقراض أنواع الثدييات الصغيرة مع مرور الوقت. باستثناء نمس الثلوج الذي اختفى من المنطقة خلال الفترة الهلنستية (الشكل 1).

ثمة نوعان آخران معروفان تسلّلا إلى المشهد الفلسطيني، في نهاية العصر الجليدي ومطلع الهولوسين وهما: الأول فأر المنزل، والذي يظهر لأول مرة مع ظهور الاستيطان الدائم، في نهاية العصر الجليدي. أصبح فأر المنزل، وهو نوع يرافق الإنسان بوضوح، أصبح أكثر الأنواع الشائعة في مناطق الاستيطان والمناطق الزراعية خلال الهولوسين. اما الثاني فهو الخلد، دخيل آخر على مرافقة الإنسان، ووجوده في المنطقة خلال فترة العصر الجليدي ومعظم فترة الهولوسين موضع تساؤل. بقايا الخلد الموجودة في المواقع الأثرية من نهاية البليستوسين نادرة للغاية، وغير موجودة في المواقع التاريخية من الهولوسين القديم إلى القرن الأول قبل الميلاد. يبدو أن دخول الخلد إلى المنطقة خلال الفترة الرومانية كان مرتبطًا بالعمليات التاريخية، بما في ذلك توسيع التجارة بين شرق وغرب آسيا وأوروبا، وكذلك ظهور المراكز المدنية المتقدمة. هناك نوع آخر من المناجذ، الجرذ النرويجي، وصل إلى هذه المنطقة خلال القرنين الماضيين فقط.

ملخص مؤقت والبحوث المستقبلية

إن التنوع البيولوجي الذي يميز مجتمع الثدييات الموجودة اليوم في فلسطين، هو على الأرجح نتاج للتفاعل المتبادل بين العمليات الطبيعية، وتلك التي جرت بفعل الإنسان، أو التي شكّلت المشهد في المنطقة على مدار 10،000 عام الأخير. وما يدعم هذه الفرضية يأتي من المقارنة بين تنقلات الثدييات الصغيرة والضخمة. تؤكد هذه المقارنة ظاهريا على عمليات متناقضة، وإن نمط الانقراض بين أنواع الثدييات الضخمة، لا يشبه موجات الانقراض العظيمة التي ميّزت الأمريكتين وأستراليا، في نهاية العصر الجليدي وعصر الهولوسين المبكر. تميّز عدد من الانقراضات المنفصلة والمحدودة بالدور المتأخر لفترة الهولوسين. تم انقراض أنواع الثدييات الضخمة من المنطقة أولاً كما هو متوقع، بالنظر إلى الخصائص البيئية لهذه الأنواع، وقابليّتها للتغيرات في مآويها. إن الأنواع التي نجت من مجموعة الثدييات الكبيرة هي ذات الأحجام الصغيرة نسبيًا، القابلة للتكيف بدرجة كبيرة مع الحياة في البيئة البشرية.

بالمقابل، إن التنقلات التي طرأت على جماعة الثدييات الصغيرة تكشف عن انخفاض معدل الانقراض، وانضمام عدد من الأنواع الجديدة، التي يتأثر بعضها بعمليات تغيير المناخ في نهاية العصر البليستوسيني والبعض الآخر بسبب تأثير الإنسان. انسحب عدد قليل من القوارض من أصل أوروبي من المنطقة خلال فترة الهولوسين، على ما يبدو بفترات منفصلة.

يبدو أن تفسير الاختلاف في تنقلات مجموعتي الثدييات، متعلق بآليات مختلفة للتأثير البشري على الأنواع المختلفة، ذات التأثيرات المباشرة وغير المباشرة. تأثرت أعداد فصائل الثدييات الضخمة بشكل غير

مباشر، نتيجة لتقليص مجال معيشتها، وبشكل مباشر نتيجة للصيد، في حين تأثرت فصائل الثدييات الصغيرة بشكل غير مباشر. تؤكد هذه النظرة، من جهة، على عملية التقليص التدريجي في المأوي الحرجية، التي تعيش بجوار الماء، والتي تسكنها بشكل رئيسي الأنواع من أصل أوروبي، وتؤكد من جهة أخرى على أهمية أنشطة الصيد للثدييات الضخمة، التي زاد تأثيرها على تنوع الأصناف بمرور الوقت. حدثت زيادة في مدى الصيد خلال فترات الحكم المستقر في المنطقة - في نهاية العصر الحديدي، والفترة الصليبية ونهاية الفترة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. يبدو أن الصيد غير المراقب قد أضرّ بمجموعات الأنواع، التي كانت موجودة لمئات آلاف السنين، في أطراف مناطق انتشارها ونجت من التقلبات المناخية. من المحتمل أن التنقلات المتوقعة التي لوحظت في مجتمع الثدييات في المنطقة، كانت نتيجة دمج معقد من عمليات تقليص المأوي وتدميرها، إلى جانب الإخلال بالتوازن البيئي في العلاقات بين المفترس والفريسة، والتي تأثرت بشكل أساسي بتكثيف النشاط البشري وزيادة تأثيره على المشهد.

ثمة حاجة لدراسة مستقبلية من أجل دمج تجميع شامل لبقايا الحيوانات الأثرية، مع أبحاث الحمض النووي القديمة، لتوسيع قاعدة البيانات الحالية، بحيث يتيح فحص أسئلة أكثر تركيزًا على مستوى عالٍ من الدقة والانفصال في الزمان والمكان. إن استخدام طرق البحث بالاستعانة بنماذج بيئية معقدة، كتمثيل العلاقة بين المفترس – الفريسة، وتحليل النسيج للسلسلة الغذائية، ضروري لتحديد ما إذا كان النظام البيئي الإقليمي لأنواع الثدييات بقي مستديمًا. وهذا سؤال ذو تأثيرات جوهرية على اعتبارات حفظ التنوع البيولوجي وبقايا المشهد الطبيعي لفلسطين.

Tel Sheva Chalcolithic: underground and subterranean in the Ghassul culture

Martin-David Pasternak - The Israel Antiquities Authority

Chalcolithic remains have been exposed along the Be’er Sheva‘ and Ḥevron wadi beds in excavations carried out over the last century on through the present. Over the past three years, the Israel Antiquities Authority has conducted a number of salvage excavations in the village of Tel Sheva‘ and its vicinity, exposing the remains of a pebble and mudbrick structure as well as examples of subterranean systems dug into the loess. These subterranean systems include halls (c. 4 m below topsoil) connected by long narrow passageways. The Chalcolithic settlement at Tel Sheva‘ is part of the large Chalcolithic ‘Be’er-Sheva‘ Culture’ typical of the area.

Be Happy Here Before I Was Born”: Fluctuations in Israel’s” mammal species over the past 10,000 years

Guy Bar-Oz and Lior Weisbrod - The University of Haifa

Rich zoological-archaeological data from the southern Levant, covering the last 10,000 years, provide a unique opportunity to track regional mammal distribution and extinction. Two major extinction waves occurred, both strongly associated with human activities. The first occurred during the Iron Age (1200-586 BCE), a period characterized by significant human population growth. During that time, the last large wild ungulates of the populated lowlands became extinct, followed by a shrinking distribution of forest-dwelling deer. A second major extinction occurred in the nineteenth and twentieth centuries CE, with the introduction of modern firearms. Evidently, intensified human activity through habitat destruction and uncontrolled hunting was responsible for ungulate extinction in the southern Levant during the Late Holocene.

Selected Sites and Finds from the Hinterland and the Suburbs of Hellenistic- and Roman-period Ashqelon

Ilan Peretz - The Israel Antiquities Authority

Presented here are the results of several salvage excavations carried out in the area of modern Ashqelon that revealed remains from the Hellenistic and Roman periods (second century BCE–fourth century CE). The ancient city of Ashqelon is situated at what is known today as Tel Ashqelon; most of the sites mentioned below are within the area of the Arab town of Migdal and the village of el Jura. The excavations address several aspects, including the development of the economic and cultural importance of Ashqelon from Hellenistic times through the Roman period, a development that is at the root to understanding the extensive wine industry that developed and the importance of Ashqelon in later periods, especially during the Byzantine period (fifth–seventh centuries CE), and also in the Early Islamic period, as mentioned by Early Islamic Arab writers.

The Hellenistic period (chiefly second century BCE) is dealt with at three sites: an ancient cemetery northeast of Tel Ashqelon; the Barne'a excavation, north of modern-day Ashqelon; and the Agamim neighborhood site, south of Ashqelon. At the first site, jar burials were exposed; at the second, buildings showing urban planning, and at the third, a winepress and a structure.

At Barne'a, an insula, a wide street and a well, dated between 198 and 130 BCE, were exposed. These and other buildings exposed in the past show urban planning, such as an orthogonal plan. The finds indicate that a pharmacy and a blacksmith were located within the structures and a tabun contained charred grape seeds.

Remains dated to the late Hellenistic/Early Roman–Late Roman periods (c. first century BCE–fourth century CE) are scant and poorly preserved; most are built tombs. North of Ashqelon (southwest of the Hellenistic site of Barne'a) are two massive buildings that were excavated and seem to be public in nature. The first, excavated by S. Israeli at the Marina, shows an early phase (first century BCE–first century CE) and two later phases dated within the Roman horizon (till the fourth century CE) that include a well, rooms, a courtyard and installations for water and for ritual and mortuary ceremonial purposes. The second building is to its northeast and reveals two phases. The early phase dates to the first–third centuries CE and includes a wide wall built of dressed stones and the capital of a column. During the later phase, dated to the Late Roman or early Byzantine period (fourth–early fifth centuries CE), additional buildings were erected. An early wall was incorporated into another building. Another building, constructed south of the first-mentioned, was plastered with frescoes.

Frescoes were also found at the site of the Hellenistic-period jar burials in the northeastern cemetery of ancient Ashqelon, near Barzilay Hospital. This fresco originated from a Roman or Byzantine built tomb. A bronze panther-shaped handle from a jug, its lower part a satyr head, was found in the lower part of a communal burial dated to the Late Roman period (mid-third century CE). Both the panther and satyr are companions of Dionysius, who was known, among other things, as the god of flora, the vine and winemaking, showing the cultural and religious importance of grapes and wine in Ashqelon throughout the 'Classical period.'

Identifying a Dionysiac Society in Ashqelon's Eastern Cemetery

Davida Eisenberg-Degen and Ilan Peretz

The Israel Antiquities Authority

Grave goods recovered from Roman Ashqelon's Eastern Cemetery assist in dating the burials, providing information concerning the faith of the deceased and the funerary customs of the period. This study presents the finds from two recently excavated funerary contexts, including a panther-shaped bronze handle and a mosaic depicting five pinecones, both Dionysiac symbols. The symbolism of the grave goods reinforces the identification of an active Dionysiac society in Roman Ashqelon.

Ashqelon's Eastern Cemetery was in consecutive use for more than half a millennium, from the Hellenistic through the late Byzantine periods. Several excavations carried out in Ashqelon's Eastern Cemetery reveal simple hewn graves alongside burial structures. The grave goods found in several burials date to the Roman period, and the goods suggest a strong association with Dionysus in his role as Releaser and Purificator, presiding over the bridge connecting life and death.

Ḥorbat Umm Tuba in the Light of Surveys and Excavations

Zubair Adawi - The Israel Antiquities Authority

The ruin lies at the heart of modern Umm Tuba, between Jerusalem and Bethlehem. Researchers have suggested identifying Umm Tuba with the biblical settlement of Netophah, also mentioned in historical sources from the Byzantine period as Metopa.

About 12 excavations were carried out at the site by the Israel Antiquities Authority, exposing houses built with cross vaults, cisterns, agricultural terraces, lime kilns, columbarium caves and burial caves from the Roman and Byzantine periods.

Remains of what was probably a monastery including rooms, underground spaces and crypt were exposed during the excavations, as well as architectural elements such as columns, a Corinthian capital and fragments of chancel screens, and imported and local pottery, glassware, roof tiles, stone vessels and over 100 coins from the Byzantine period. The findings indicate that this settlement continued to exist throughout the Early Islamic period.

In medieval times, Umm Tuba is mentioned by the Arab geographer Yakim al-Hamawi, who wrote that the village was located near Sur Baher. The village continued into the Ottoman period, with 36 Muslim families living there, their economy based on agriculture.

The results of the surveys and excavations at Ḥorbat Umm Tuba have made a substantial contribution to our knowledge and the nature of settlement in the area of Jerusalem and Bethlehem during various periods.

The Monastery at Ḥura

Daniel Varga, Anat Rasiuk and Martin Pasternak

The Israel Antiquities Authority

An impressive Byzantine monastery was exposed in the course of a salvage excavation along the road connecting Be’er Sheva‘ and the Dead Sea.

The structure (20 × 28 m) was divided into several halls (oriented east–west) and included a dining hall (oriented north–south).

Four rooms had floors decorated in mosaics, the finest floors among them were found in the prayer room and the dining hall. Three Greek and one partly Greek–partly Syriac dedicatory inscriptions, integrated into the mosaic carpets, mention the names of the monastery abbots and the date of the laying of the mosaics, dating the monastery to the second half of the sixth century CE.

Apparently, the monastery, located near a Byzantine settlement, was an urban monastery, one in a series of monasteries along the road that connected Transjordan with the Berosabba Valley and served several different Christian groups.

A Scar in the Landscape:
Landscape Archaeology, a Study on Crusader Conflicts in Ascalon

Rafael Y. Lewis

Ashqelon Academic College and The University of Haifa

A landscape archaeological survey conducted by the author in 2010–2013 in Ascalon (Ashqelon) has enabled the reconstruction of the historical landscape of Tel Ascalon throughout various periods. Creating reconstructions of the landscape on the tell and in the surrounding area enables us to learn about the interrelationship between people and their natural environment in this area. The landscape archaeology study also enables us to examine various historical events within their environmental and archaeological contexts, such as the 1099 Battle of Ascalon and the 1153 and 1187 sieges of the city. This study has identified several surviving landscape and archaeological features that we can relate to historical events (among them a siege rampart at the foot of the Jerusalem Gate), demonstrating how these events continue to resonate and influence the development of the landscape of Crusader Ascalon, and even the post-Crusader city.

The penetration of Islam into the territories of the Land of Israel
an archaeological view from the Negev

Gideon Avni - The Israel Antiquities Authority

Several early mosques associated with a widespread settlement network that existed during the sixth to eighth centuries CE have been discovered in recent years throughout the Negev Highlands. These include mosques, built either within urban settlements or adjacent to rural settlements, and mosques connected with nomadic Negev Highlands populations. The chronological framework of the early mosques, their connection to dated settlements, and the formal relations between the earlier sites and the mosques seem more consistent with a picture of gradual Islamic penetration into southern Palestine than with a swift adoption of canonical Islam in the wake of a single wave of conquest.

Sabils (Water Fountains) in Ashqelon

Avi Sasson - Ashkelon Academic College

The biblical term rahat (fountain) changed in the Middle Ages to sabil, literally and architecturally. A survey conducted by the author documented 300 sabils, dating from the Mamluk to the British Mandate periods.

These facilities, built by governmental initiative or by private farmers, survived in the old cities and alongside the main roads of Ottoman Palestine. In the Ashqelon area, ten sabils were built by local farmers, three of them are still in place. In 2004, the directors of Ashqelon College decided to preserve the remains of a sabil in front of the college, for public benefit.

The remains of the sabils in Ashqelon reveal to us the ancient tradition of supplying water to travelers and the affinity between men who live alongside the road and the traveler. Beyond carrying out the religious commandment, the farmer gained additional economic benefits, which were tax exempt.

Bet Guvrin Fortress: Renewal of Fortifications during the Crusader Period

Michael Cohen - The Israel Antiquities Authority

The fortress at Bet Guvrin was the first frontier fort built during the time of the First Crusader Kingdom and probably served as a prototype for the concentric forts that followed.

In addition, the fortress at Bet Guvrin was the first to be delivered to the military Order of Hospitallers and was adapted to the needs of the monastic knights of the Order.

Archeological excavations at the Bet Guvrin site in the early 1990s revealed Crusader fortifications that confirm the credibility of historical sources and the results of studies of the development of military architecture in the region. The fortification of Bet Guvrin was part of the strategic concept to fortify the borders of the Kingdom of Jerusalem, led by King Fulk of Anjou. Until that time, the bulk of the fortifications was devoted to Jerusalem and the roads leading to it.

The Bet Guvrin fortress was the first in a chain of forts designed to protect the southern border of the kingdom against its fierce Muslim enemies. Subsequent fortresses were built at Yavne (1141 CE), Tel Safi (1142 CE) and Gaza (1149 CE or early 1150), during the reign of Baldwin III.

The fort at Bet Guvrin was probably built in 1134 with the blessing of King Fulk and at his initiative. Following its construction, it was delivered to the Hospitaller Order in 1136. The Knights improved the fortifications with new construction techniques, reflecting the development of military architecture in the Kingdom, serving as a link to the prototype of Crusader fortresses in the region.

A Small Late Ottoman-Mandate-Period Settlement North of Be’er Sheva‘

Davida Eisenberg-Degen and Avishay Levi-Hevroni
The Israel Antiquities Authority

Modern Be’er Sheva‘—the Early Years

In the first years of the twentieth century, Be’er Sheva‘ consisted of merely a few buildings and shops. Travelers and visitors noted the fast-developing city. The city’s development accelerated under Governor Ali Ekrem Bey. By 1907, the building of the Great Mosque and Saraya Governor’s House were completed, while the city center included a large garden and a grid of wide, paved roads surrounding it. A generator brought running water to several houses, many of which kept gardens, and some, even fountains. The factories, flour mill, granary storehouses, post and telegraph services and thriving market served the Bedouin of the region and attracted new settlers to the city.

Be’er Sheva‘’s population increased toward the eve of WWI, as the presence of the Ottoman army grew within the city. The civilian population of c. 400 reached 3000 within a decade while an additional 5000 soldiers and many more (forced) laborers were stationed in and around the city. The military presence further assisted the city’s development with the founding of a second flour mill, an ice factory, a printing house and a bathhouse. The army built warehouses, workshops, a hospital and supplied electricity to the major buildings. The laying of the Hijaz railway and landing strip connected Be’er Sheva‘ to both the northern and new southern frontiers.

Many more people came to the city in search of employment, mostly from Gaza, with a few Arab Christian families who hailed from Hebron. Some Bedouin bought land (at a reduced rate) and built within the city limits. Others migrated, pitching tents in the region.

The Nuclei of the Historic Villages in the Vicinity of Jerusalem: A Survey and Case Studies

Avi Mashiakh - The Israel Antiquities Authority

The traditional Arab village was a common landmark in the landscape of the region until the mid-twentieth century CE; today, however, such villages are gradually decaying and in danger of existence. This local type of construction is a reminder of the traditional landscape and society that prevailed in the region during hundreds of years, bearing unique cultural, aesthetic and geographical values. Today, the process of urbanization and life in the periphery, as well as changes in the Arab society, threaten the existence of the village nuclei, which suffer from ongoing damage and erasure.

Of the impressive traditional Arab villages, partly built atop ancient remains, only meager evidence remains. The traditional construction methods, the buildings and the unique rural landscape underwent a process of adaptation to modern ways of life. Sometimes, the traditional building values were kept despite the modern processes, but for the most part, the values of the traditional Arab villages were irreversibly destroyed.

In the past years, I conducted a survey of the traditional Arab village nuclei in the vicinity of Jerusalem, first as an architect working for the Israel Antiquities Authority, and later, as a researcher of historical geography in the Hebrew University, Jerusalem, in the framework of my Masters' thesis.

This paper presents the results of the survey of the traditional Arab village nuclei in the vicinity of Jerusalem, in the past and present, in the western and eastern parts of the city. These villages, which are threatened by development processes, exhibit several preservation patterns in their historical centers and different levels of intervention.

These villages, which developed similarly until 1948, differ in the preservation patterns of their ancient nuclei and other elements which allude to their traditional rural past. Shifts in regime and population clearly affected the relationship between the inhabitants and the authorities and the hisoric remains.

This research presumes that the conservation of a rural historic landscape is a cultural value in its own, and therefore, it should be an integral part of modern planning. The analysis of the villages' preservation patterns and the mapping of their values will serve as a basis for matching the conservation principles and development required for the preservation of the traditional landscapes of the villages, which are in different stages of development.

Cornerstone

Magazine to ancient and heritage sites

Vol. 4 December 2019 – Jerusalem

Editor: Walid Atrash

Contents

The Nuclei of the Historic Villages in the Vicinity of Jerusalem: A Survey and Case Studies I
Avi Mashiakh – The Israel Antiquities Authority

A Small Late Ottoman-Mandate-Period Settlement North of Be'er Sheva' II
Davida Eisenberg-Degen and Avishay Levi-Hevroni – The Israel Antiquities Authority

Sabils (Water Fountains) in Ashqelon III
Avi Sasson - Ashkelon Academic College

Bet Guvrin Fortress: Renewal of Fortifications during the Crusader Period III
Michael Cohen - The Israel Antiquities Authority

A Scar in the Landscape: Landscape Archaeology, a Study on Crusader Conflicts in Ascalon IV
Rafael Y. Lewis - Ashqelon Academic College and The University of Haifa

The penetration of Islam into the territories of the Land of Israel – an archaeological view from the Negev IV
Gideon Avni - The Israel Antiquities Authority

Ḥorbat Umm Tuba in the Light of Surveys and Excavations V
Zubair Adawi - The Israel Antiquities Authority

The Monastery at Ḥura V
Daniel Varga, Anat Rasiuk and Martin Pasternak - The Israel Antiquities Authority

Identifying a Dionysiac Society in Ashqelon's Eastern Cemetery VI
Davida Eisenberg-Degen and Ilan Peretz - The Israel Antiquities Authority

Selected Sites and Finds from the Hinterland and the Suburbs of Hellenistic and Roman-period Ashqelon VII

Ilan Peretz - The Israel Antiquities Authority

Tel Sheva Chalcolithic: underground and subterranean in the Ghassul culture VIII
Martin-David Pasternak - The Israel Antiquities Authority

"Be Happy Here Before I Was Born": Fluctuations in Israel's mammal species over the past 10,000 years VIII
Guy Bar-Oz and Lior Weisbrod - The University of Haifa

Cornerstone
Journal of Archaeological Sites

Editor: Walid Atrash

Arabic Editor: Rima Dahod

English Editor: Rachel Kudish-Vashdi

Editorial Coordinator: Hanaa Aboud

Editorial Board: Hamudi Khalaily
Kamil Sari
Rafeh Abu Raya
'Anan 'Azab
Amir Mazarib
Adit Meidan

Cover Illustrations:
Arabic: Aerial view of the archaeological site of Bet Guvrin (Photography: A. Gretzer)
English: The Monastery at Ḥora, mosaic Greek inscription in the dining hall (Photography: Assaf Peretz)

Typist: Ranen Farran

Typesetting, Layout and Production: Walid Atrash

Printing: Abu Rahmon ʻAkko

© 2019, The Israel Antiquities Authority
POB 586, Jerusalem 91004
ISSN 2790-7155

www.antiquities.org.il
hanaa@israntique.org.il

Cornerstone

Journal of Archaeological Sites

Volume 4 • December 2019

Cornerstone

Journal of Archaeological Sites

Volume 4 • December 2019

الكلية الأكاديمية تل-حاي

Tel-Hai College

المجلس لحفظ المواقع التراثية

The Council for Conservation of Heritage Sites

سلطة الآثار

ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY